قراءة في اتجاهات التفسير

في العصر الحديث

د . محمد علي سلامة

الإهداء

إلى كل من سبقوني في هذا الميدان

عسى أن أكون نبتة جديدة

في أفرع شجرتهم الوارفة

مقدمة :

لقد لعبت مصر دورا جزئيا في الماضي باعتبارها جزءا من الدولة العربية الكبري، التي وقعت تحت خلافتين : الخلافة العباسية ، والخلافة العثمانية مع اختلاف مظاهر الدولتين ، ولكن يجب أن نذكر أن دور مصر ، وإن كان جزئيا إلا أنه كان بارزا وسط أدوار الولايات الأخري الواقعة تحت إمرة الخلافة العباسية أو الخلافة العثمانية .

أما في العصر الحاضر فقد أصبحت مصر رائدة النهضة العربية الحديثة، وقد رادت الطريق إلي الفكر الحديث بعد أن اصطدم التخلف المصري والعربي بحضارة أوربا من خلال الحملة الفرنسية علي مصر والشام ، وأثار هذا الصدام عقول المفكرين المصريين ، وقد مهد لهذه الإثارة أن تتحقق واقعا فعليا عاملان مهمان أولهما:تولي أحد القواد العسكريين الطموحين أمر الحكم ، ورغبته في تحديث البلد بالاتصال بالحضارة الأوربية في أجمل مراكزها وأعظمها وهي باريس، ذلك القائد هو محمد علي .

وثانيهما:وجود عدد كبير من طلاب الأزهر يمثلون القاعدة الثقافية التي أفاد منها محمد علي في إرسال بعثاته التعليمية مع الإرساليات العسكرية ومما جعل مصر تأخذ دور الريادة في العالم العربي أن اتصالها بأوربا كان له صدي عملي ، ولم يقتصر علي الجانب النظري العقائدي الذي كان محل شك كما كان الحال في صلة أوربا بالشام من خلال الإرساليات التبشيرية التي قصرت كل همها علي نشر التعاليم المسيحية ، أما المبعوثون المصريون فقد عادوا من أوربا محملين بأفكار ورؤي حديثة كان لها دورها البارز في خلق نهضة مصرية جديرة بدور الريادة ، يضاف إلي ذلك الوجود العسكري المصري في مساحة واسعة من الأراضي العربية ، ثم بعد

ذلك اهتمام الأسرة الحاكمة في مصر بتحديث مصر ، وتقليد كل ما هو أوربي وجميل ونشره في مصر .

كما ساعد أيضا في هذا البعث الفكري الجديد وجود المطبعة التي تركها جنود الحملة الفرنسية ، كما تركوا وثائق علمية من بينها فك رموز الكتابة الهيروغليفية علي حجر رشيد ، وانتشار الصحافة في عهد الفرنسيين وبعدهم، وقد أفاد المصريون من كل هذه الإمكانات بعد عودة طلائع البعثات وشيوخها من أمثال رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك ، اللذين استغلا وجود المطبعة وبدءا في طبع بعض الكتب ، وبعض الصحائف ذات الحجم القليل جدا ، ونتيجة لهذا دعا علي مبارك إلي إقامة دار الكتب المصرية في الأربعينات من القرن الماضي لتصبح مكانا لجمع الكتب ولتسهيل مهمة القراءة أمام أكبر عدد من الجمهور .

وكان من نتيجة ذلك كله نهضة فكرية واسعة في شتي مجالات الفنون والعلوم ، وقد نمت بازدياد حركة الاتصال وتبادل البعثات المستمر بين مصر وأوربا سواء كانت باريس أو لندن أو غيرها من العواصم الأوربية ، وكان يميل في خلال القرن التاسع عشر إلي فرنسا ، ثم أصبح الاتصال بفرنسا وانجلترا علي السواء بعد احتلال انجلترا لمصر ، ومن ثم تنوعت مصادر البعث الفكري .

وقد بدأت الآثار تتوالي ، وكان أهم أثر لهذا الاتصال الفكري هو قيام حركة إحياء التراث العربي بعد أن تولد الصراع بين المثقفين المحدثين حول اختيار أحد الطريقين للتقدم ، هل نستورد الحضارة الغربية أو بمعني أصح نتبعها تبعية كلية ، ونذوب فيها ، وهؤلاء يرون أن هذا هو الطريق الصحيح للتقدم ، أم نعود للقديم عودة كلية التزاما بمبدأ الأصالة ، فهي جذورنا

ولابد أن نعود إليها كلية ، لأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان ولأننا مادمنا سنتّبع فيجب أن نتّبع حضارتنا القديمة فهي أولي بالاتباع خاصة وأنها كانت حضارة مستنيرة مليئة بالمحدثات العلمية ، كما أن اتباع الغرب سيمحو الشخصية العربية ، ونضيع هويتنا المصرية والعربية .

وقد رأي الفريق الثالث (الفريق الوسط) أن يأخذ من المنبعين فتبعث أهم الكتب العربية القديمة (وهو ما عرف بعد ذلك بإحياء التراث القديم) وأن تترجم أهم الكتب الغربية في مجال العلم ، وكذلك في مجال الأدب ، وبذلك يتم للمثقف الحديث مزيج من الثقافة يجمع فيه بين الأصالة والمعاصرة ، فيحافظ علي هويته وقوميته ويرتبط بأسباب العلم ، ونتيجة لذلك خرج المثقفون الرواد في شتي المجالات .

ولأن الطليعة الأولي من المبعوثين كانوا أزهريين فقد شغلهم التفكير الديني ، وساعدهم علي ذلك استمرار السيطرة العثمانية علي الدول العربية تحت اسم الخلافة الإسلامية والتي تعد في نظرهم السبب الحقيقي وراء التخلف الفكري الذي عاني منه العالم العربي ومن ثم التخلف الديني نظريا وسلوكيا ، وربما كانت أفكار هؤلاء الرواد باعثا للنهضة في كل المجالات ، الفكرية والعلمية والأدبية بالإضافة إلي المجال الديني ، وساعد علي هذا الحرية الفكرية التي انتشرت كتقليد للحياة الأوربية طالما أن هذه الحرية لا تمس الناحية السياسية التي تتصل بالحكم .

وقد أفاد التفسير بطبيعة الحال من هذه النهضة باعتباره أحد أفرع العلوم التي كانت موضع الإحياء ، وباعتباره جزءا من ثقافة رواد النهضة ، حيث كان الإحياء الديني أحد هموم الإحيائيين ، ولأن رائد الإصلاح الاجتماعي في العصر الحديث هو الشيخ جمال الدين الأفغاني الذي جاء إلي

مصر املا أن يجد أرضا خصبة لأفكاره الإصلاحية التي لم تجد صدي كبيرا في بلاده أو البلاد الأخري التي مر بها محاولا نشر أفكاره ، صدي يوحي إليه بإمكانية تحقيق الهدف الذي يسعي إليه ، وقد كان علي حق ، فالروح السائدة في مصر حينذاك تشجع هذه الأفكار علي الانتشار والنمو ، ورغم ما لاقاه من معاناة في بعض الأحيان ، وذلك من الأطراف التي مازالت تعيش بعقلية الماضي خاصة رجال الأزهر الذين لم يحظوا بعضوية البعثات أو بفرصة الاتصال بالحضارة الأوربية ، وشجعهم علي ذلك حاشية القصر الحاكم في مصر حيث إن أفكار الرجل من شأنها أن تهز أركان هذا القصر.

ولأن النهضة الحديثة كانت ذات طابع علمي وفلسفي في آن واحد ، فقد انعكست هذه التطورات علي التفسير ، ونشأ التفسير العلمي الذي حاول أن يفيد من الاكتشافات والمخترعات العلمية الجديدة في مجال تفسير القرآن حتي يستطيع المواءمة بين صيحة العصر الحديث وبين فكره الديني الذي يعد القرآن الكريم أساسه الأول .

كما كان للتفكير العقلي الذي انتشر في مجال الأدب والفكر بصفة عامة دور هام في التفسير الجديد حيث انتشرت موجة من التفسير الذي يجمع بين مزايا التفسير القديم ، وبين المناهج الحديثة في الفكر والأدب . وبين الرؤية التجديدية للفكر الديني بما يتلاءم والعصر الحديث.

وعبر هذا التاريخ الطويل لم يخل الأمر من محاولات فردية كانت تنبع من أصحابها رغبة منهم في تقديم فهم للقرآن يتمشي مع روح العصر ، ويقرب من أفهام متوسطي الثقافة أو العامة ؛ ولأن الفترة الأولي التي عاشتها النهضة وخاصة خلال النصف الأول من هذا القرن تميزت بتكون الاتجاهات العامة فإن الجهود الفردية لم تظهر بشكل واضح إلا في تلك

المحاولة التي بدأها الإمام الشهيد حسن البنا ، ثم ظهرت بعد ذلك بوضوح في السبعينيات والثمانينيات ، ويبدو أن مسألة الانفتاح الاقتصادي تبعها تفكك في الاتجاهات الفكرية العامة ، وكما سار الأمر في التربيح الاقتصادي سار كذلك في مسألة الفكر خاصة التديني حيث بدأت تعلو أصوات فردية بعضها أخذ يكون جماعات دينية ، خاصة بعد السماح لها بالإشهار الرسمي ، مما جعل كثيرين ينسلخون من جماعة الإخوان المسلمين ويكونون جماعات أخري بمسميات مختلفة .

وقد حاولنا أن نرصد الظاهرة وانعكاسها علي مستويين : مستوي التفسير ومستوي التفكير الديني بشكل عام ، فعرضت لبعض هذه الجهود التفسيرية البارزة وحاولت أن استقرأها وأعرضها للقارئ محاولا التوصل إلي ما يقف وراءها من فكر ، وإن كنت قد تركت بعض هذه الجهود فليس إهمالا لها ولكن من منظور عملي حيث وجدت أن بعضها لا يتميز بخاصية محددة تميزه بل يمكن أن نري مثيلا له في بعض الجهود التي عرضتها .

ثم أتبعت ذلك بعرض لأهم اتجاهات الفكر الديني المعاصر فيما يشبه المسح العام من وجهة نظري لأهم التيارات والجماعات الدينية التي أخذ القارئ يسمع عنها اليوم في محاولة لبيان ما يقف وراء هذا التنوع من ظواهر اجتماعية وفكرية أدت إليه .

وقد اتبعت في قراءتي هذه المنهج الوصفي والتحليلي معا وصف الظاهرة وتتبعها وتحليلها ، وقراءة بعض مفرداتها للوصول إلي تصور عام لظاهرة التفسير في العصر الحديث .

ويبدأ الكتاب بعرض لظاهرة التفسير العلمي أولا باعتبارها بذرة

النهضة التي أدت إلي هذا التطور والتجديد وقد جاء الحديث فيها مرجزا مركزا علي أهم النقاط المنهجية تعويلا علي ما قدمته في كتابي" التفسير العلمي للقرآن ، تاريخ وتطور " والذي صدر الجزء الأول منه في طبعة خاصة نشرته مكتبة الآداب ١٩٩١ وسيليه الجزء الثاني إن شاء الله ، ثم أتبعها بالحديث عن مدرسة التفسير الاجتماعي في الفصل الثاني ، ثم جاء الفصل الثالث عن الاتجاه الفردي وعرضت فيه لأكثر هذه الجهود شيوعاً وانتشاراً، ثم جاء الفصل الرابع والأخير وعرضت فيه لتيارات الفكر الديني المعاصر في مصر.

وأخيرا هذه محاولة للاقتراب من هذا المجال الذي أعلم أنه صعب وليست صعوبته في عدم التمكن من استيعابه ، ولكنها تكمن في كثرة المتحدثين فيه ، وما هي إلا محاولة قراءة أقدمها كباحث شابه تقف في نهاية ما قدمه أساتذة كبار أحترمهم وأقدر لهم جهودهم وفكرهم ، وريادتهم لي علميا ، ومن هنا تكمن صعوبة المحاولة ، فأين أنا من هؤلاء ، ولكن لابد مما ليس منه بد ، وأقصد التواصل بين الأجيال ، واستكمال ما طرحوه ، فقد حاولت أن أقدم بعض الأعمال التي لم تشملها بحوثهم ، حتي تكتمل الصورة ، ويتواصل الفكر ، وإن كنت قد أحسنت فمن الله ، وإن كنت قد أخطأت فمن نفسي ، وما أنا إلا طالب عالم أخطئ وأصيب، والله أسأل أن ينفعنا بما نعلم .

دكتور محمد سلامة


الفصل الأول
اتجاه التفسير العلمي

التفسير العلمي قديما :

أ: أبو حامد الغزالي وجهوده في هذا المجال

هناك بعض المحاولات القديمة للتفسير العلمي للقرآن ، وإن كانت كل هذه المحاولات تشير إلي نوع من العلم منتشر في ذلك العصر ، وهي العلوم الفلسفية والتصرفية ، وإذا كنا قد وجدنا إشارات عند الإمام أبي حامد الغزالي في كتابه الإحياء إلي تضمن القرآن لبعض العلوم فانما كان يعني العلوم الشائعة في عصره، وحينما يقول الغزالي في الإحياء " إن القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم ، إذ كل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع ، ثم يروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله (من أراد علم الاولين والآخرين فليتدبر القرآن)والنص واضح في الإشارة إلي المنهج الصوفي الذي أشرنا إليه من قبل ، وهو اعتبار القرآن نصا له ظاهر وباطن (١)، وأضاف إليهما الغزالي الحد والمطلع ، وحتي في كتابه (جواهر القرآن) الذي يشير فيه اكثر الي تضمن القرآن للعلوم ، ولكن العلوم التي يذكرها في هذا الكتاب قسمان:
الأول : علم الصدف والقشر ، وجعل من مشتملاته ، علم اللغة ، وعلم النحو ، وعلم القراءات ، وعلم مخارج الحروف ، وعلم التفسير الظاهر .
والثاني : علم اللباب، وجعل من مشتملاته : علم قصص الاولين ، وعلم الكلام ، وعلم الفقه ، وعلم أصول الفقه ، والعلم بالله واليوم الآخر ، والعلم بالصراط المستقيم ، وطريق السلوك .(٢)

وبنظرة متفحصة إلي أسماء هذه العلوم نجد أنها تندرج جميعا تحت

---

(١) راجع الاحياء لأبي حامد الغزالي ط دار الغد العربي القاهرة ، ١٩٨٦ /جـ١ صـ

(٢) الغزالي : جواهر القرآن ط بيروت ١٩٨١ صـ٢٥

مصطلح واحد هو : العلوم الدينية ، وهي العلوم الشائعة في عصر الغزالي ، وفيها يدور الصراع والنقاش بين مختلف الطوائف ، حتي ما يمكن أن يدرج تحت مصطلح العلوم الدنيوية نجده يذكر ما يتصل بالحياة العملية ، أو العلوم المعروفة أيضا في عصرهم ، وهي علوم الطب والنجوم ، وهيئة العالم، وهيئة بدن الحيوان ، وتشريح أعضائه وعلم السحر وعلم الطلسمات .

وهذه العلوم جميعا من بحار معرفة الله (وهو العلم الأعلي الأشرف وسائر العلوم تراد له ومن أجله وهو لا يراد لغيره ، وطريق التدريج فيه الترقي من الأفعال إلي الصفات ثم من الصفات إلي الذات فهي ثلاث طبقات : أعلاها علم الذات ولا يحتملها أكثر الأفهام - ولذلك قيل لهم· تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله) وإلي هذا التدريج يشير تدرج رسول الله صلي الله عليه وسلم في ملاحظته ونظره حيث قال (أعوذ بعفوك من عقابك) فهذه ملاحظة الفعل ثم قال (وأعوذ برضاك من سخطك) وهذه ملاحظة الصفات ثم قال (أعوذ بك منك) ، وهذه ملاحظة الذات فلم يزل يترقي إلي القرب درجة درجة ، ثم عند النهاية اعترف بالعجز فقال (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت علي نفسك) فهذا أشرف العلوم ويتلوه في الشرف علم الآخرة وهو علم المعاد ، كما ذكرناه في الأقسام الثلاثة ، وهو متصل بعلم المعرفة وحقيقته معرفة نسب العبد إلي الله تعالي عند تحققه بالمعرفة أو مصيره محجوبا بالجهل ، وهذه العلوم الأربعة أعني علم الذات والصفات والأفعال وعلم المعاد أودعنا من أوائله ومجامعه القدر الذي رزقنا منه مع قصر العمر وكثرة الشواغل والآفات وقلة الأعوان والرفقاء بعض التصانيف ، لكنا لم نظهره فإنه يكل عنه أكثر الأفهام ويستغربه الضعفاء ، وهم أكثر المترسمين بالعلم بل لا يصلح إظهاره إلا علي من أتقن

علم الظاهر وسلك في قمع الصفات المذمومة من النفس وطرق المجاهدة حتي ارتاضت نفسه واستقامت علي سواء السبيل فلم يبق له حظ في الدنيا ولم يبق له طلب إلا بالحق ورزق مع ذلك فطنة وقادة وقريحة منقادة وذكاء بليغا وفهما صافيا ، وحرام علي من يقع ذلك الكتاب بيده أن يظهر إلا علي من استجمع هذه الصفات ، فهذه هي مجامع العلم التي تتشعب من القرآن ومراتبها .(٣)

وهكذا نري أن الغزالي يضع نصب عينيه علم التصوف الذي يركز علي معرفة الله باعتبارها أسمي مراتب الترقي عند المتصوفة ، وتصبح كل العلوم خادمة له وموصلة إليه ، ولا فائدة فيها إن لم تؤد إلي ذلك حتي لو كانت علوما دينية كمعرفة قصص الأنبياء والكلام والفقه ، وغيرها من العلوم الدينية .

أما العلوم الطبيعية كعلم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشرح أعضائه و علم السحر و الطلسمات و غيرها فمع اعتراف الغزالى بأنها علوم الا أنها من وجهة نظره "لا يتوقف على معارفتها صلاح المعاش و المعاد " (٤) أى أنها ان لم تستخدم فى الاطار العام الذى رسمه الغزالي للعلم الأسمي وهو معرفة الله عز وجل تصبح لا قيمة لها ، كما أنها ليست أول العلوم ولا آخرها . وأنه يمكن أن تستحدث علوم لا يعرفها البشر،وهي رؤية متقدمة من الغزالي حيث ينبه إلي قضية خطيرة ، وهي ربط القرآن الكريم بمستحدثات العلم ، وهو المزلق الذي يقع فيه كثير من المحدثين

---

(٣) الغزالي ، جواهر القرآن ص٢٥-٢٥.

(٤) جواهر القرآن/٢٥

فكلما ظهرت نظرية علمية جديدة جروا وراءها ، وأخذوا يقولون إنها في القرآن الكريم ، وينسون أن العلم وراء كل جديد وسيظهر فيه الجديد دائما.

ولكن الغزالي لا ينس أن يربط ذلك بمفهومه المعرفي الصوفي ، فهو لا يرجع مستحدثات العلم إلي إمكانات البشر ، فهي محدودة ، وكذلك إمكانات الملائكة ، ولكن قدرات الله لا تحدها حدود يقول الغزالي :" ظهر لنا بالبصيرة الواضحة التي لا يتماري فيها أن في الإمكان والقرة أصنافا من العلوم بعد لم تخرج من الوجود ، وإن كان في قوة الآدمي الوصول إليها ، وعلوم كانت قد خرجت إلي الوجود واندثرت الآن فلن يوجد في هذه الأعصر علي بسيط الأرض من يعرفها ، وعلوم آخر ليس في قوة البشر أصلا إدراكها والإحاطة بها ، ويحظي بها بعض الملائكة المقربين ، فإن الإمكان في حق الآدمي محدود والإمكان في حق الملك محدود إلي غاية في الكمال بالإضافة كما أنه في حق البهيمة محدود إلي غاية في النقصان ، وإنما الله سبحانه وتعالى هو الذي لا يتناهي العلم في حقه ، ويفارق علمنا علم الحق في شيئين : أحدهما أنتقاء النهاية عنه و الآخر أن العلوم ليست فى وبالمـــــرة الامكـان الذى ينكر خروجه بالوجود بل هو بالوجود و الحضور فكل ممكن من حقـه من الكمـال فهو حاضر موجود , ثم هذه العـلوم مـــــا عددناها وما لم نعدها ليست أوائلها خارجة عن القرآن فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالي هو بحر الأفعال .(٥)

فالغزالي لا ينكر وجود إشارات في القرآن إلي هذه العلوم ، ولكنه يقر أيضا أن كل نص في القرآن يشير إلي علم منها يحتاج إلي متخصص فاهم واع ، ومن ثم يدعو كل المتبصرين والمخلصين للقرآن الكريم أن يتأملوها وأن

(٥) المصدر السابق /٢٦

يتأكدوا بذلك من أن القرآن الكريم يشمل علم الاولين والآخرين.

ب : الرازي وإسهاماته في هذا الميدان

وقد جاء الرازي بعد الغزالي بنحو قرن من الزمان، وتابع ما قاله الغزالي وما طرحه من أفكار نظرية ،تابعه نظريا وتطبيقيا، فقدم في كتابه « من أسرار التنزيل وأنوار التأويل " رؤية نظرية للتأمل في الكون وبدائعه كدليل علي قدرة الله مستمدا معظم أفكاره من إشارات القرآن الكونية ، وكأنها تفصيل لأفكار الغزالي في الإحياء وفي جواهر القرآن ، ثم كان كتابه القيم ، وتفسيره الكبير المسمي " مفاتيح "الغيب" نموذجا في تطبيق هذه الأفكار.

وفي إطار النزعة الكلامية التي اتسم بها فكر الرازي جاء تفسيره شاملا لكثير من المعارف والعلوم التي وصل إليها عصره ، وكان نتيجة لذلك أن امتلأ تفسيره بهذه الإشارات العلمية التي نقل فيها عن علماء اليونان مثل أرسطو وأرشميدس وغيرهم ، كما نقل عن علماء العرب الذين برعوا في كثير من العلوم والفنون وكان أكثر هذه العلوم علم الفلك والنجوم الذي توافق مع كثرة الإشارات القرآنية عن السماء وما فيها من نجوم وكواب كدليل علي بديع صنع الله في الكون وكان الرازي يعقب علي ذلك دائما بقوله :" وهذا دليل علي وجود الصانع المختار "

ولم يفلت الرازي كثيرا من أسر التأثر بأفكار الغزالي في كل هذا إذ يمتلئ كتابه أسرار التنزيل وأنوار التأويل بالنقول عن المتصوفة وشيوخهم ، كما توجد كثرة من النقول في كتابه " مفاتيح الغيب " وهذا يوضح أن الرازي كان يطبق الأفكار التي طرحها الغزالي في رؤيته السابقة ، ولاعجب فالاثنان شافعيان أشعريان ، وكلاهما خاض في علم الكلام ، وكلاهما سني، وإن كان أحدهما وهو الغزالي قد مزج هذا الفكر برؤية صوفية ، إلا أن

الرازي قد مزج هذا العحر بنزعة شمولية موسوعية ، افاد فيها من كل ما ارتضاه من معارف الفرق والمذاهب الإسلامية ، فلسفية أو اعتزالية أو صوفية أو سنية .

وقد كان الرازي أكثر تأثرا بالأشعري من الغزالي ومناقشاً لآراء الآخرين مفندا لها ، وإلي هذا يشير عبد العزيز المجدوب في كتابه عن الرازي يقول:"فقد اختار أن يكون من أخلاف الإمام الأشعري الذي يعود إليه الفضل في تخليص الحكمة الإسلامية من التقليد ، ومن أن تكون عالة علي الفلسفة الأجنبية الدخيلة فأرجع بذلك إلي الطريقة السنية هيبتها ، كما أثر الرازي أن يكون من أتباع الإمام الغزالي الذي قوض ما أتي به الفارابي من نظريات أحيا بها من جديد الفلسفة اليونانية حتي اعتبر الدين عملا تطبيقيا- لا تفكيريا- لا يتنافي مع الحكمة ولكنه يخضع لها "(٦)

وقد تجلي هذا في تفسير الرازي كأوضح ما يكون لأنه آمن بأن هذه الإشارات إنما هي سبيل هداية سواء كان النظر إلي كلياتها أو إلي جزئياتها يقول:" فإذا ثبت هذا فنقول : من الناس من اعتقد أن جملة هذا العالم محدث، وكل محدث فله مُحدث، فحصل بهذا الطريق إثبات الصانع تعالي، وصار من زمرة المستدلين .. من دليل إلي دليل أدق إلي دليل أعظم.. فلكثرة الدلائل وتواليها أثر عظيم في تقوية اليقين ، وإزالة الشبهات.."(٧)

وهكذا يبين أن الهدف من كثرة تفصيلاته هذه الذي يخوض فيها ليس مجرد إيراد معارف علمية ، وإنما أورد عبارة توضح مقصده؛ فلكثرة الدلائل

---

(٦) عبد العزيز المجدوب ، الرازي من خلال تفسيره ط تونس/ليبيا ١٩٨٠صـ١٢٢

(٧) الرازي / مفاتيح الغيب جـ١/١٢٢

وتواليها أثر عظيم في تقوية اليقين ، وإزالة الشبهات " فهو يعلم أن الناس في حاجة ماسة إلي بيان هذه الدلائل حتي يزداد اليقين ، وتزول الشبهات ، وكأنه يستشعر مسلك الرافضين أو المشككين الذين أخذوا يستندون إلي الأدلة الفلسفية التي تعتمد علي الماديات والمقدمات المنطقية ، وهو يجدها فرصة طيبة للرد عليهم من خلال القرآن الكريم .

جـ : ما بعد الرازي ١- مؤيدون

ولا يختلف حديث السيوطي عن التفسير العلمي للقرآن كثيرا عن حديث الغزالي ، وإن كان أكثر إجمالا حيث يري السيوطي أن علمنا يقصر عن إدراك كل ما احتواه القرآن من علوم لأنه يحوي علم الأولين والآخرين ، وتقوم جهوده علي استنباط المعاني ، وما تزال كلماته مطابقة لمنهجه السلفي الذي يعتمد علي المأثور فمعظم ما ذكره نقول عن الصحابة والعلماء.

وقد جاءت محاولة أبي الفضل المرسي أكثر تفصيلا وبصورة تقترب من الطريقة الحديثة ، حيث يأخذ في ذكر بعض الآيات التي تدل علي علم من العلوم ، مثل النحو والأصول والبلاغة والقوانين وعلم الفلك ، والطب والهندسة وأسماء الآلات والحرف الشائعة ، ويدعم رأيه بمقالة أبي بكر بن العربي عن تضمن القرآن لكل هذه العلوم الذي جعل ما يحتويه القرآن من علوم سبعين ألف علم ، ومقالة السيوطي عن تضمن القرآن لكل العلوم ما ظهر منها وما سيظهر .

وهكذا ظهرت بواكير الربط بين القرآن وبين العلم الذي كان ينمو بشكل مطرد في محاولة لإبراز تضمن القرآن لكل المسائل الدينية والعلمية، ومن ثم إثبات صلاحيته لكل زمان ومكان .

٢- معارضون

وقد وجد هذا الاتجاه معارضة وإنكارا من بعض العلماء ، وكأن الصورة الحديثة نموذج لما دار في الزمن الماضي من تحاور بين العلماء حول القرآن ليثبت ذلك التحاور أن القرآن سيظل المنارة التي يهتدي بها الناس في كل وقت ، ولقيمته الكبري سيظل الناس مختلفين في فهم كثير من نصوصه أي يبقي هو باعثا للحيوية الفكرية والعلمية .

وكان من هؤلاء المفكرين الفقيه وصاحب كتاب الموافقات في أصول الفقه الإمام أبو إسحاق الشاطبي الأندلسي المشهور ، وصاحب المؤلفات في علوم القراءات ومع إقراره بأن القرآن حين تضمن مثل هذه الإشارات إلي العلوم كان يقصد الإفهام والتوضيح ، لأن القرآن نزل علي أميين لا يعلمون من هذه العلوم التي يتحدث بها المفسرون شيئا ، وإنما كانت إشاراته قاصرة علي العلوم التي يعرفها من نزل عليهم القرآن من العرب ، ثم قام بالرد علي اجتهادات كل راحد ممن قالوا بالتفسير العلمي والذين تحدثنا عنهم فيما سبق .

ويقف الدكتور محمد حسين الذهبي مع الشاطبي في إنكاره هذا المنزع في تفسير القرآن ، وربما تأثر الذهبي بما شاع من تفسير علمي للقرآن في عصرنا الحاضر ، وقد عضد رأيه بأدلة من أهمها أن القرآن من الناحية اللغوية تتعدي معاني ألفاظه المدلولات الظاهرة ولا يجب قصرها علي المسائل العلمية فقد تعني أكثر من هذه المدلولات - وبالإضافة إلي ذلك فإن القرآن نزل يخاطب أمة جاهلة بهذه المدلولات العلمية التي يذكرها هؤلاء المفسرون وهذا يقلل من بلاغة القرآن وهي بالضرورة تهتم بمن يخاطبهم القرآن ، وإذا كان القرآن صالحا لكل زمان ومكان فإنه لا يشير إلي مستحدثات عصر دون بقية العصور وإلا كان قاصرا علي عصر دون غيره

ولا يصح لكل زمان ومكان ، وليس القرآن كتاب طب وهندسة أو فلسفة ، بل هو عقيدة شاملة لكل نواحي الحياة دينية ودنيوية .

والحق أن أفكار الشيخ الذهبي أفكار طيبة ورغم أنها تؤكد ما قلناه من أن الذهبي عامل مقولات التفسير العلمي القديمة بما يجب أن يعامل به التفسير العلمي الحديث للقرآن ، وكان يحس أن يؤجلها لتكون في نهاية الحديث عن التفسير العلمي في العصر الحديث لتشمل العصرين الماضي والحاضر ، لأن بعض هذه المقولات العلمية القديمة في التفسير كانت تركز علي جانب الإعجاز في القرآن ، والحديث عنها بتحفظ شديد بدليل أنها كانت تشير إلي أن القرآن يتضمن الحديث عن العلوم القائمة ، وما سيحدث في اتجاه إثبات تفرد الله ووحدانيته في كونه ، وعظمته في خلقه ، ولم نخرج القرآن من ثوبه كعقيدة وشريعة مثلما فعل المحدثون .

وفي الوقت نفسه فإن هذه الأفكار نفسها يمكن الرد بها علي الذهبي فإن أحدا لم يقل بأن القرآن كتاب علم ، كما لم يقل أحد بأن القرآن نزل للعرب خاصة بل نزل للناس عامة ويعلم بأنه قد يؤمن به أناس لهم دور بارز في مجال العلم ولهذا فإن كل ذلك يؤكد سعة القرآن ليشمل كل النواحي حتي يصبح صالحاً لكل زمان ومكان .

التفسير العلمي حديثا:

أما إذا جئنا إلي الحديث عن التفسير العلمي الحديث ، فإننا نقول إنه صدي لروح العلم السائدة في عصرنا ، وما نتج عنها من نزعات غير دينية تشكك في صلاحية القرآن لهذا الزمن ، فحاولت هذه المناهج التفسيرية الحديثة إثبات أن القرآن يصلح لكل العصور وأنه يتضمن كل النظريات الحديثة التي ظهرت سواء كانت في العلوم الطبيعية أو العلوم الإنسانية، ولذلك كان المدخل إلي هذا التفسير العلمي عبارة عن مقالات صحفية حول

تفسر آية من الآيات ، ونظن أنها رد علي دعوة من الدعوات المضادة للدين والقرآن .

تعد قضية الإعجاز العلمي للقرآن صورة جديدة لقضية قديمة ثارت إبان عصر النهضة الإسلامية في ظل الخلافة العباسية وهي قضية الثنائية المشهورة : الدين والفلسفة ، والتي نتجت عن شيوع وانتشار الفلسفة بعد ترجمة الفلسفة اليونانية ، وهو الأمر الذي لعب دوراً خطيراً في ازدهار الفكر الإسلامي ، وظهور العلوم المختلفة ، ولما كانت الفلسفة تعتمد علي العقل وقضاياه المنطقية التي كانت غالبا تعتمد علي الماديات باعتبارها المنطلق الأساسي للتفكير ، فإن تعارضا مّا ظهر بينها وبين الفكر الديني الذي يعتمد جزء كبير منه علي المنقول .

وبالرغم من الحقيقة التي لا تقبل الشك وهي أن هذا المنقول يحتاج دائما إلي العقل ليفهمه إلا أنه يظل أساساً يجب أن ينطلق منه العقل في التفكير ، بينما تعتمد الفلسفة علي المقدمات والنتائج حتي فيما وراء الطبيعة الذي يشبه إلي حد كبير الغيبيات في الفكر الديني ، فإنهم أخضعوه للمقاييس العقلية والمنطقية ، ولكن الفلاسفة المسلمين لعبوا دوراً مهما في التوفيق بين الجانبين .

ولما ظهر العلم بسلطانه في العصر الحديث بدأت تثور الثنائية في ثوبها الجديد : الدين والعلم .

وفي هذه المرة كان الصراع أشد ، لأن الفلسفة مهما تعمقت وتطررت فإنها ظلت أفكارا نظرية مثالية ميتافيزيقية ، ولذلك فإن الحوار كان سهلا خاصة أن للقرآن جانبه الميتافيزيقي ، أما العلم فله اتصال بالحياة العملية

والمادية التي يعيشها الناس ، ومن ثم فان جاذبيته للناس أقوي من الفلسفة، ولذلك وجد المتحمسون له والمتعصبون فرصة للهجوم علي الدين باعتباره غيبا لا يستطيع مواجهة هذا المد العلمي .

ويتجدد الصراع ظهر من يتصدي لأفكار المتشككين ، وان كان لم يخل في تصديه من مظار تطرف تكاد تساوي موقف الآخرين في تعصبهم للعلم، فجاء دفاعه عن القران بصورة يمكن أن تثير الجدل حول هذا الدفاع لأنها في أحيان كثيرة كانت تغالي في تحميل النص القرآني ما ليس فيه وذلك مثلما فعل الشيخ طنطاوي جوهري في كتابه المسمي " الجواهر في تفسير القرآن الكريم " والذي أثار حوله الكثير من الاعتراضات وصلت إلي حد المصادرة.

لقد بدأ التفسير العلمي في العصر الحديث في صورة مقالات بالدوريات المختلفة ، وان كانت هذه المقالات قد جمعت في كتب بعد ذلك أو طورت أفكاره لتصبح كتبا ، وهذا يدل علي صحة ما قلناه من أن البداية كانت الدفاع عن الدين ضد العلم ، فيتناول المؤلف بعض الآيات التي تتضمن اشارات علمية في محاولة إثبات أسبقية القرآن علي كل هذه المستحدثات وبالتالي يدل علي شموليته لكل نواحي الحياة دينيا واجتماعيا وعلميا ، والدوريات في نهاية القرن الماضي والنصف الأول من القرن الحالي مليئة بهذا النوع من المقالات ، بل أحيانا يظل هذا الاتجاه سائدا في بعض دوريات اليوم .

وأول المحاولات التي اقتربت من تفسير القرآن من الوجهة العلمية في العصر الحديث هي محاولة الشيخ محمد بن أحمد الاسكندراني وهو طبيب من أطباء القرن التاسع عشر وأهم أثر تركه الرجل في هذا الميدان هو كتاب "كشف الأسرار النورانية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية

والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية " وهو عنوان طويل شامل يبين أن صاحب الكتاب سيتناول ما تضمنه القرآن من إشارات خاصة في هذه الموضوعات .

وهناك سبب واضح لأن نعد هذا الكتاب ضمن الجهود التفسيرية هو أن الإسكندراني يتحدث في مقدمة الكتاب عن علم التفسير فيقول "موضوع علم التفسير كلام الله تعالي الذي يتوصل به إلي معرفة الأجرام السماوية والأرضية والمولدات الثلاثة والتوحيد والأحكام الشرعية وغايته معرفة جميع الأحكام المستنبطة من الآيات الشريفة القرآنية ، فمنفعته عامة لعموم الاحتياج إليه ، وفائدته مطلوبة لترتب بقاء الأحكام عليه [٨] مما يوحي بأن الرجل قصد إلي تفسير بعض آيات القرآن تفسيرا علميا مستفيدا مما استحدثه العلم الحديث من آراء ونظريات ، ومحاولة ربط فهم القرآن بهذه المستحدثات العلمية ولا غرو فالقرآن في نظره شامل لكل هذه الموضوعات ومعطاء لكل عصر بحسب ما برع الناس فيه ، صحيح أن الأمر علي هذه الصورة قد يوحي بشئ من التعسف والافتعال في تفسير آيات القرآن الكريم كما رأي فريق المعارضين لهذا الاتجاه .

ويقع الكتاب في ثلاثة أجزاء وطبع مرتين طبعة في مجلد واحد ضم الأجزاء الثلاثة ، وطبعة ثانية في ثلاثة مجلدات قسمها بين أنواع الموجودات فخصص الجزء الأول لـ " كيفية تكون الحيوانات وما يتعلق بها من مباحث" وجعل الجزء الثاني لـ : " كيفية خلق السماوات والأرض وفيها مقالات " اما الجزء الثالث فقد جعله لـ : " كيفية تكون النباتات وما يتعلق بذلك مـــــن

---

(٨) محمد بن أحمد الإسكندراني /كشف الأسرار النورانية ط الوهبية بمصر ١٢٧٩ هـ صـ٢.

مباحث " ، والسبب في بدئه بالحديث عن الحيوانات هو الإنسان إذ يري أنه أرقي المخلوقات علي الإطلاق ، ومن ثم يجب البدء به ، ولأن الإنسان من فصيلة الحيوان فقد جعل حديثه شاملا عن الحيوانات كلها ، ثم ثني بالكون لأنه يري أنه مسخر للإنسان ليحقق فيه خلافته لله ، ثم النبات من جملة المسخرات للإنسان ولفائدته ، وهكذا نري النزعة العلمية غالبة حتي علي تقسيم الكتاب ، ولم يرتبط المؤلف بترتيب آيات القرآن الكريم في هذه المسألة بل تنقل بين الآيات تبعا لتسلسل خلق الإنسان من تراب ثم من نطفة وهكذا ، المهم أن يخرج في النهاية بنتيجة كاملة أو رؤية كاملة لتناول القرآن لمراحل خلق الإنسان .

أما الدافع الذي كان وراء تأليف الكتاب فهو - كما يروي المؤلف - سؤال وجه إليه في اجتماع ضمه وأطباء مسيحيين كانوا يتناقشون حول مسألة الأحجار الفحمية ، وانتهوا جميعا إلي أن هذه المسألة لا وجود لها في التوراة والإنجيل ، ثم وجهوا إلي الشيخ الإسكندراني هذا السؤال : مادام القرآن يقول : " ما فرطنا في الكتاب من شئ " فهل توجد في القرآن إشارة إلي هذا الأمر ؟ فرد عليهم بالإيجاب وتلا عليهم قوله تعالي : " الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون " وقال " إن النار من جملة المنافع العظيمة المحتاج إليها جميع العباد ، وهي ناشئة من الصمغية والشمعية المودعتين في الشجر ، والجعل هنا بمعني الخلق ، أي خلق لكم من الشجر الأخضر نارا ؛ وذلك لقدرته سبحانه وتعالي علي خلق الصمغ والشمع في الشجر ، وفي قوله تعالي " الذي أخرج المرعي فجعله غثاء أحوي" واستشهد بقول ابن عباس رضي الله عنهما " المرعي" هو الكلأ الأخضر ، والغثاء من النبات ما حملته المياه وسيرته مع الزبد بقدرته تعالي

ورسب وانظم في الكدرات وقوله ، " أحوي" أي أسود أي اكتسب بعد الزمن الذي أنظم فيه سوادا "(٩)

ويشرع الرجل في تأليف الكتاب جاعلا من هذا الموضوع مقدمة له يسهب فيها ، ويفيد من كل ما قرأه وعلمه من العلوم الجيولوجية ليثبت أن هذه الرؤية القرآنية تتفق وما توصل إليه العلم الحديث من نتائج بعد دراسة طبقات الأرض ، ويري أن إشارات القرآن الموجزة تحمل في طياتها كل هذه المعاني التي ربما لم يلتفت إليها السابقون لقصور علمهم وجهودهم في هذا المجال ومن ثم قصروها علي ظاهر النص ، وربما ربطوها بالظواهر الطبيعية التي كانت تحدث في عهودهم من جفاف للماء وإحراق للزرع نتيجة طبيعية لهذا الجفاف وحرارة الشمس .

وقد جره هذا الحديث إلي استقصاء للمسائل العلمية التي يمكن أن توجد إشارات قرآنية لها لمحاولة إظهار أن القرآن حقا كتاب لم يفرط في شيء ، وواضح من حديث الرجل في مقدمة كتابه عن دافع تأليف الكتاب أن منشأ هذه النزعة العلمية في تفسير القرآن الكريم كان في حقيقته محاولة للإجابة علي تساؤلات شغلت العقل الحديث بعد اطلاعه علي كل ما أنتجه العقل البشري من علوم علي المستوي النظري والتطبيقي ، وبدأت آثارها تظهر علي الواقع الملموس ، وهل الدين بصفة عامة ، والدين الإسلامي بصفة خاصة ، بل والقرآن الكريم بصفة أخص يمكن أن يساير هذه الطفرة العلمية في حياة البشر ؟ وبالتالي كانت إجابة الشيخ الإسكندراني هنا شاملة ، ونتج عن هذه الشمولية أن تناول المؤلف كل الموجودات ورؤية القرآن الكريم

---

(٩) كشف الأسرار النورانية جـ١ ص ٥

لها، وما اشتمل عليه من أفكار في هذه المسائل

هذا وقد اختلفت طريقة المؤلف في عنونة الموضوعات في كتابه، ففي الجزء الأول الذي يتحدث فيه عن الحيوانات وكيفية تكونها وما فيها من إعجاز إلهي تشير إليه الآيات، يقسم الموضوع إلي مجموعة مقالات، يتناول في كل مقالة آية محددة خاصة بفرع من هذا الموضوع، ويبدؤها بالآية التي تشير إلي أول خلق للإنسان (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) [١٠] يقول: " إن كل بشر مخلوق من تراب، أما آدم فظاهر، وأما نحن فلأنا خلقنا من نطفة، والنطفة متولدة من الدم بواسطة الأنثيين، والدم متكون من المادة الليفية أي الليمفاوية والناشئة عن الكيلوس المتكون من الكيموس، والناتج عن تناول الأغذية في المعدة، والأغذية من التراب والماء " [١١]

وهذه مسألة من المسائل المتفرعة من المقالة الأولي، أما المسائل الأخري فهي تتحدث عن الصور الأخري التي وردت في القرآن لخلق الإنسان. وهي الماء المهين والصلصال حتي يصل إلي المادة اللحمية التي هي واقع حال الإنسان ويسهب في الحديث عنها من خلال خبرته كطبيب متخصص، وبالرغم من كثرة التفريعات إلا أنه في هذا الباب كان متماسكا وعلي وعي شديد بالموضوعات التي يتحدث فيها، ومن ثم جاء التقسيم منطقيا ومترابطاً حتي في عدد المقالات فهو لا ينسي التبويب بل يظل علي وعيه به.

---

(١٠) الروم /٢٠

(١١) كشف الأسرار النورانية جـ١ /١١

ولما وصل إلي الباب الثاني الذي أفرد له الجزء الثاني من كتابه بدأ الحديث يأخذه إلي ذكر تفصيلات وتفريعات كثيرة أنسته التبويب والترقيم وأخذ يذكر الآيات تحت عنوان مسائل ويبدو أن طبيعة الموضوع فرضت عليه ذلك ، فموضوع الباب هو خلق السموات والأرض ، وهذه المسألة نالت من الاهتمام الفلسفي والكلامي تقديراً واهتماماً كبيرين خاصة في الفكر القديم، ولم يخل الفكر الحديث من اهتمام بها ، وحينما تقرأ كلامه فيها تشعر بوجود الامام الفخر الرازي وبحديثه عنها في تفسيره الكبير المسمي "مفاتيح الغيب " .

وفي الجزء الثالث (أي الباب الثالث) نجد تفريعات كثيرة للمسائل أيضا ، لأن هذا الجزء يتناول موضوع النباتات وكيفية تكونها ، ولأن النبات متعدد الأنواع والفصائل والفروع والأوراق والثمار فقد أخذ الرجل بعيداً عن روح التفسير الذي التزمه في الجزء الأول ، وقد يرجع ذلك إلي كثرة الآيات التي تناولت هذا الموضوع في القرآن الكريم ، ومن ثم احتاج الأمر إلي توغل في المعرفة الخاصة بالنبات لمحاولة إظهار قدرة الله عز وجل في هذا الشأن ، وساعده في ذلك اتساع المعارف والعلوم الخاصة بالنبات، في هذا العصر بالمقارنة بما كان معلوماً في عصر سابقيه (الرازي مثلا).

ملاحظات منهجية :

يتضح من خلال استعراضنا لجهود الشيخ في كتابه أن الرجل لم يكن يقصد إلي تأليف تفسير بالمعني التقليدي الذي سار عليه المفسرون ذوي الاتجاهات المختلفة من قبل ، بقدر ما قصد إلي إظهار معجزة القرآن الكريم باشتمالها علي جوانب الحياة بما في ذلك الجانب العلمي .

وقد جاء التقسم منطقيا كما سبق أن أشرت ، فبدأه بالحيوان ثم ثني بالسموات والأرض ، ثم ختمه بالنبات ، ولم تكن خطته تعتمد علي ترتيب آيات القرآن الكريم سواء من حيث ورودها في المصحف بحسب ترتيب السير ولا بترتيب يعتمد علي أسبقية النزول ، وانما اعتمدت طريقة عرضه علي التطور الطبيعي أو النمو الطبيعي للموضوع المراد الحديث عنه ، ولعل أبرز مثال علي ذلك حديثه عن خلق الإنسان من تراب ثم من صلصال ثم من ماء مهين ثم تطوره ليصبح كتلة لحمية ، ويذكر الآيات بهذا الترتيب .

فاذا انتقلنا إلي الجزء الثاني وجدناه يبدأ بخلق السموات والأرض- والناتج من خلقها وتفاعلها الظلمات والنور ، ثم يتحدث عن الظل وهكذا حتي يستقصي جميع المظاهر المرتبطة بالسماوات والأرض .

وفي الجزء الثالث يبدأ الحديث عن كيفية تكون النبات بدءا من نزول المطر من السماء فيصبح منه ماء نشربه ومنه جزء يروي الأرض فينبت الزرع ويخوض في تفصيلات هذه الزروع .

الملاحظة الثانية أن الشيخ كان يستعين بكل الوسائل الممكنة لتفسير الآية سواء كانت أحاديث نبوية شريفة أو أقوالا مأثورة عن الصحابة والتابعين أو تفاسير قديمة بصرف النظر عن انتماءاتها ، بالإضافة إلي إفاضته في المباحث العلمية الحديثة التي هي مركز اهتمامه بالدرجة الأولي المهم أنه يصل في النهاية إلي ما يرمي إليه من بيان ذكر القرآن لهذه الظاهرة العلمية وإثبات إعجازه من هذا الطريق ، فمثلا عندما يعرض لقوله تعالي: (كلوا من ثمرة إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) [١٢] نراه يقسم الآية لمجموعة مباحث ، وكل مبحث يتناول

---

(١٢) الأنعام /١٤١

فيه الأقوال المأثورة أولا ثم يذكر بعد ذلك ما يذكره فمثلا في قوله تعالي:" وآتوا حقه " ثلاثة أقوال . قال ابن عباس في رواية عطاء يريد به العشر فيما سقت السماء ، ونصف العشر فيما يسقي بالدواليب وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وطاووس والضحاك ، وكذلك يذكر أقوال بعض الفقهاء كأبي حنيفة ، ويفند الأقوال ويختار من بينها ما يراه .(١٣)

الملاحظة الثالثة أن الجزء الأول جاء أفضل الأجزاء وأوضحها وأقلها إيغالا في المسائل العلمية والآراء النظرية والفلسفية ، وهذا راجع إلي أنه يتفق وطبيعة تخصص المؤلف ، فموضوعه الحيوان وعلومه ، والشيخ طبيب بارع ذاع صيته في عصره ، هذا بالاضافة الي كثرة الآيات الواردة في القرآن الكريم والمشيرة الي نعم الله للانسان من خلال تكوينه البدني ، ويلي ذلك في الوضوح رغم كثرة التفريعات فيه الجزء الثالث ، لأن عناصر النبات من حيث التشريح لها صلة وثيقة بعناصر الحيوان .

الملاحظة الرابعة : أن الاسكندراني لم يعتسف آيات القرآن الكريم ليطوعها للنظريات العلمية ، بل انطلق منها ومما تتضمنه من إشارات وحاول الإفادة من المستحدثات العلمية ليفتح الطريق أمام الاضاءات العلمية التي يمكن أن يستوعبها العقل الحديث من خلال قراءة جديدة للنص القرآني ، ولنأخذ مثالا علي ذلك جزءا من تفسيره لقوله تعالي :(ألم تر إلي ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا)(١٤) يقول : "اعلم أنه تعالي ذكر في هذه الآية

---

(١٣) راجع جـ٣ من كشف الأسرار النورانية ص٧٤.

(١٤) الفرقان /٤٥

من الدلائل الدالة علي وجود الصانع أنواعا وكلها ترجع إلي الاستدلال مجال الظل ، النوع الأول في زيادته ، والثاني في نقصانه ، والثالث في تغيره من حال إلي حال وفيه مسائل" (١٥) ، ويأخذ بعد ذلك في سرد المسائل الأولي في الرؤية ويطرح فيه الاختلافات ويتفق مع الزجاج في جعلها من الرؤية القلبية والعقلية ، أما المسألة الثانية عمن هو المخاطب في هذه الآية ، والمسألة الثالثة تلخيص للآراء حول المقصود بالظل هنا في وجه وفي الوجه الثاني علاقته بالشمس ، وهكذا يسير في التفسير حتي المسألة الخامسة :وهي عن وجه الاستدلال بالظل علي وجود الصانع المحسن .

ومن هذا المثال يتضح لنا كثرة الاستنباطات إلا أنها كلها لا تتضمن تحاملا علي لفظ ليثبت مذهبا أو فكرة ، وإنما هي إضاءات مرتبطة بالنص نفسه ، وتسير علي هديه ، ومهما طالت الاستنتاجات والاستنباطات فلن تعدل استنباطات الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب .

وهكذا استطاع الرجل أن يفيد من علمه ومنهجه العلمي في طرح عدة مسائل وجمعه لهذا الكم الكبير من آيات القرآن الكريم مما يجعل جهده هذا يعد من الجهود التفسيرية للقرآن الكريم التي تدخل في إطار منهجنا الذي يسعي إلي تعرف اتجاهات جهود المفسرين في العصر الحديث وما تأثروا به من عناصر نهضتنا الحديثة بشقيها العلمي والإنساني .

ما بعد الإسكندراني :

كانت لهذه المحاولة التي قام بها الإسكندراني أثرها في تشجيع كثير من الباحثين للخوض في هذه المسألة ، ويمكن أن نطلق عليها صيحة حديثة

---

(١٥) كشف الأسرار النورانية جـ٢ص.

في النظر إلي القرآن الكريم وظهرت عدة محاولات لها علاقة بموضوعنا لكننا لن نطيل الحديث فيها لأنها لا تمثل جهودا تفسيرية متكاملة فتستحق الوقفة التفصيلية عندها ، وأول هذه المحاولات رسالة عبد الله باشا فكري في مقارنة بعض مباحث الهيئة بما ورد في النصوص الشرعية من آيات تتعلق بالموضوع نفسه وقد طبعت بالقاهرة سنة ١٣١٥هـ .

وثانيها محاولة السيد عبد الرحمن الكواكبي في كتابه (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) وهو عبارة عن مجموعة مقالات له نشرها في بعض الصحف عندما زار مصر سنة ١٣١٨هـ . وهذا يؤيد ما قلناه أن بواكير هذا الاتجاه العلمي في التفسير كان عبارة عن مقالات . ويري الكواكبي أن القرآن " شمس العلوم وكنز الحكم " ، ويلوم من وقف ضد اكتشاف ما في القرآن من كنوز علمية لخوفهم من السلف ، ومن يقرأ كتابه لا يكاد ينتهي منه إلا متيقنا بأن القرآن كتاب علمي بحت .

وقد كان الرجل يبدأ جمله دائما بقوله : "اكتشفوا كذا .." و" القرآن يقول" وهكذا ، وكأن الأمر معركة بين مكتشفاتهم ، وبين القرآن ، وحين يذكر المكتشفات أولا فإن الأمر يشعر بأن المؤلف في حالة دفاع عن القرآن ، وهذه صورة لا تليق بالقرآن إطلاقا ، وهنا نضيف إلي ما قاله الذهبي لأصحاب هذه الدعوة بأن القرآن لم ولن يكون في حالة الدفاع ، لأنه كتاب يترفع عن أن يذكر هذه المستحدثات البشرية والمتغيرة بتفصيل بل يشير إلي قدرة الله في خلقه وإلي الحركة الدائمة للخلق في اكتشاف مكونات هذا الخلق بمساعدة من الله سبحانه وتعالي ، ولذلك فهم سيظلون في عناء شديد حتي يتمكنوا من الوصول إلي الحقيقة الكبري التي تعني حب الله وإمداده للبشر بكل ما يحتاجون ، ويشير في النهاية إلي أن ما اكتشفه قليل يقول" وبالقياس علي

ما تقدم ذكره يقتضي أن كثيرا من آياته سينكشف سرها في المستقبل في وقتها المرهون ، تجديداً لإنجازه مادام الزمان ، وماكر الجديدان .[١٦]

وهناك محاولة أخري للمرحوم مصطفي صادق الرافعي في كتابه" إعجاز القرآن " الذي بين ان جزء من إعجاز القرآن كان إعجازه العلمي حيث تضمن إشارات علمية سابقة لعصرها علي مستوي العلوم الطبيعية في مختلف فروعها .

الشيخ طنطاوي جوهري ونضج التفسير العلمي

اهتم الشيخ طنطاوي جوهري منذ بداية حياته بالعلم بالاضافة إلي تخصصه الذي سلك فيه طريقه ، وهو كما كان معتاداً في ذلك الوقت من الكتاب إلي الأزهر ثم إلي دار العلوم ، أو الاستمرار في الأزهر فقط للحصول علي عالميته ، وان الشيخ طنطاوي جوهري من خريجي دار العلوم، ولما عاد إلي هذه المدرسة مدرسا بها بدأ يسلك طريق الربط بين الإنجازات العلمية والنظريات العلمية الحديثة وبين القرآن ، وذلك من خلال دروسه لطلاب دار العلوم في التفسير ، وكذلك من خلال كتاباته في مجلة الملاجئ العباسية وغيرها من الدوريات في ذلك الوقت ، بالإضافة إلي كتاباته الأخري فقد ترك الشيخ وراءه نحو ٣٠ كتابا معظمها يخوض في مسألة محددة هي التقاء العلم والدين من خلال الظواهر الكونية ، والإنجازات العلمية الحديثة ، والناظر في عناوين هذه الكتب سيجد هذا واضحا مثل : الزهرة في نظام العالم والأمم ، والتاج المرصع بجواهر القرآن وميزان الجواهر وغيرها من الكتب التي تبني كلها علي أساس فلسفة محددة هي التقـــاء

---

(١٦) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ط الجمالية بمصر د.ت صـ٢٢-٢٥

العلم والدين وعدم تعارض كل منهما مع الآخر لأنهما يرتدان إلي أصل واحد هو الله الخالق لهما معا .

وكان أخطر كتبه وأوسعها علي الاطلاق تفسيره المسمي بالجواهر في تفسير القرآن ، ولقد جاء أشبه بموسوعة علمية أكثر من أن يكون تفسيرا للقرآن ، ولقد خاض فيه صاحبه في مسائل كثيرة ولذلك جاء الكتاب ضخما في ٢٦ جزءا كبيراً منها ٢٥ جزءا في تفسير القرآن بترتيبه والجزء السادس والعشرون استدراكات لما فاته في التفسير وهو مهم جداً .

يقول الشيخ عن غرضه من كتابة هذا التفسير " أن يشرح الله به قلوبا ، ويهدي به أمما ، وتنقشع به الغشاوة عن أعين عامة المسلمين فيفهموا العلوم الكونية " أي أن الرجل كان يهدف إلي جذب قلوب جميع الناس حول القرآن وخاصة أصحاب الحضارة العلمية الحديثة التي لا تعترف إلا بالعلم وانجازاته المادية ، فأراد أن يبين لهم أن القرآن يحتوي علي كل هذه العلوم ، ومهما كان القصد من وراء تأليف الكتاب فإن المهم هو خروج الكتاب بهذه الصورة .

مناقشات حول الكتاب :

لم يلق تفسير الجواهر اهتماما كبيرا لدي المثقفين الدينيين علي وجه الخصوص لأنهم دائما يرون النص القرآني في صورة أحكام تتعلق بتنظيم المجتمع ويرون أن الآيات التي فيها إشارات إلي العلوم هي من آيات الإعجاز العلمي وهي قليلة ، ومن ثم لا عجب أن نعرف أن المملكة العربية السعودية صادرت هذا التفسير ورفضت دخوله بلادها فهم يرون في هذا تحميلا للقرآن بعلوم ونظريات لا عهد للعرب بها ، وقد نزل عليهم أولا ،

ولابد أن يفهموه ولو أن القرآن جاء متضمنا لهذه العلوم لصعب علي العرب الأقدمين فهمه والإيمان به لأنها علوم وقضايا لا علاقة لهم بها.

والواقع أن الرد علي هذا بسيط ويسير ، وهو أن القرآن لم ينزل للعرب فقط وإنما نزل لكل الناس وفي كل العصور ويمكن للعرب أن يكونوا قد فهموا منه ما اقتنعوا به وهناك أشياء لم يعرفوها بدليل الروايات الكثيرة التي يسأل فيها الصحابةُ النبيَّ صلي الله عليه وسلم أو أحد أصحابه عن معني كلمة وهذا دليل علي أن القرآن يعطي كل عصر بنصيبه .

ولكن الذي يمكن أن يقال إن هذا الإفراط الزائد في ذكر المسائل العلمية يعطي إيحاء للرافض بأن صاحب التفسير لا يفسر القرآن بقدر ما ينتهز الفرصة لإظهار معارفه وعلومه التي علمها وقرأ عنها ، والملاحظة الثانية أن هذا الإفراط أدي إلي تكرار مسائل محددة في موضوعات مختلفة ، ومهما يكن من أمر هذه الاعتراضات فإنه يبقي لكتاب الجواهر في تفسير القرآن للشيخ طنطاوي جوهري أنه وثيقة علي عصره وثانيا علي جرأة صاحبه في تناول المسائل التي تحرج منها كثير من العلماء في عصره .

وإذا كان الدكتور الذهبي قد قال " ان الكتاب فيه كل شئ ما عدا التفسير " فإنه قول من وجهة نظر منحازة لمنهج دون منهج آخر ، وهو الذي قال فيه قبل ذلك بقليل إنه يتناول الآية فيفسرها تفسيرا لغويا لا يختلف عن كتب التفسير الأخري ، ثم ينتقل بعد ذلك إلي ذكر المسائل العلمية المستنبطة من الآية ، وهو بهذا لا يكون خاليا من التفسير مطلقا ، ويبدو أنها عبارة استحسنها الذهبي ، ونقلها من حديثه عن الرازي ، ووجد أنها مناسبة أيضا هنا .

ولم يكن الدكتور الشيخ الذهبي وحده هو الذي وقف هذا الموقف فقد سبقه وتابعه آخرون سبقه الشيخ أمين الخولي وتبعته الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) وكذلك الدكتور الشيخ مصطفي الحديدي الطير وقد رصد الدكتور محمد إبراهيم الشريف الموقف كله بين مؤيد ومعارض في كتابه "اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر " في فصل كامل بعنوان: الاتجاه العلمي في القرآن الكريم (١٧)، وقد ناقشت ذلك في كتابه الذي خصصناه بعنوان : " التفسير العلمي للقرآن تاريخ وتطور " الجزء الأول في آخر الفصل الذي خصص للحديث عن الشيخ طنطاوي جوهري فليرجع إليه من يريد التفصيل.

منهج الشيخ في تفسيره :

يقول الدكتور الذهبي " ولقد وضع المؤلف في تفسيره هذا ما يحتاجه المسلم من الاحكام والأخلاق وعجائب الكون وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق مما يشوق المسلمين والمسلمات الي الوقوف علي حقائق معاني الآيات البينات في الحيوان والنبات والأرض والسماوات "(١٨)، أي أن مقصد الرجل كان واضحا من أنه سيصنع تفسيرا يختلف عن تفاسير السابقين حيث يبين أنه سيركز علي آيات الكون في القرآن وكما يقول الشيخ طنطاوي نفسه انها أكثر من آيات الفقه فقد عد آيات العلوم ووجدها تزيد علي سبعمائة وخمسين آية، بينما عدد آيات الفقه لا يزيد عن مائة وخمسين، وهذا فارق كبير إذ يساوي خمسة أضعاف ، ومن هذا المنطلق فان التركيز يجب

---

(١٧) محمد ابراهيم الشريف/ اتجاه التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر ط(١) دار التراث بالقاهرة ١٩٨٢ من ص٦٢٥-٧٢٣.

(١٨) التفسير والمفسرون ج٢ ص٤٨٣.

أن يكون علي ابراز هذه الجوانب العلمية في القرآن وليس الاكتفاء بأحكامه مهما كانت أهميتها.

لأنه كما يري الشيخ طنطاوي أن هذا هو زمان العلوم وهو زمان ظهور نور الاسلام فهو يري أن القرآن ينقسم إلي مستويين مستوي اللفظ، وهو الذي خاض فيه السابقون ويهتم بالجوانب البلاغية والظاهرة في النص القرآني، أما المستوي الثاني فهو مستوي المعني وهذا ما قصد إليه هو نفسه، فمعاني القرآن هي المرتبطة بالعلوم ، وهذا هو زمانه .

إذن من خلال هذا الكلام نستطيع أن نفهم منهج الرجل أنه سيركز علي معاني القرآن ، وثانيا: أنه يربط هذه المعاني بمستحدثات العلم الحديث، وكان يقف بهذه الصورة عند كل آية تحتمل هذين المستويين وقفة طويلة ويخوض فيها وفيما تشير إليه من قضايا وظواهر علمية ، وكان يستعين علي توضيح كلامه بالصور والرسومات حتي خرج الكتاب بهذه الصورة الضخمة التي هو عليها ، ولأن الشيخ كان حريصا علي إظهار كل معارفه العلمية التي يشعر بارتباطها بمعني الآية موضع التفسير فكان يستغرق تفسير بعض الآيات عدة صفحات .

وعند هذه النقطة نتذكر حديثا عن الغزالي ، وإشارته إلي احتواء القرآن الكريم لسائر العلوم ، وتقسيم القرآن إلي مستويين فيه تلميح صوفي حيث يري فريق من المتصوفة أن للقرآن مستويين الظاهر ، والباطن، صحيح أن الشيخ طنطاوي يربط المستوي الثاني - وهو الخاص بالمعني - بالعلوم التي تنتشر في عصرنا الحالي ، ولكن هذا لا يمنع من التقاء الفكرين ، وربما قرأ الرجل هذا فيما قرأه من تراث صوفي وتفسيري، فأفاد منه وربطه بفكرته التي يريد أن يبينها من خلال تفسيره هذا للقرآن الكريم .

وما دمنا بصدد التأثر بالمتصوفة فإن الشيخ يصرح بأن هذا التفسير " نفحة ربانية واشارة قدسية ، وبشارة رمزية أمر به بطريق الإلهام، وأيقن أن له شأنا سيعرفه الخلف وسيكون من أهم أسباب رقي المستضعفين في الأرض"[١٩]، ولا يختلف هذا كثيرا عن فكر المتصوفة في الإلهام والفيض ولعله يذكرنا بالفتوحات المكية لابن عربي .

ماذا كان يفعل الشيخ طنطاوي في تفسيره ؟ أولا يتضح من التسمية أنه سيركز علي جواهر القرآن ، وحتي الاسم نفسه متأثر بمصطلح أبي حامد الغزالي في كتابه المعروف بهذا الاسم بالتحديد ، وهي تدل علي طريقة الرجل فهو يضع الجوهرة بدلا من الباب أو الفصل . ومن الطبيعي أن تشمل الجوهرة عدة جواهر إلا أنه يطلق عليها الماسة فنجده يقول الماسة الأولي والماسة الثانية وهكذا ، وكان يتبع نظاما محددا في تفسيره لكل آية من الآيات ، فهو يبدأ في تفسيرها بالطريقة التقليدية ، تفسيرا لفظيا، ولا مانع في معظم الأحيان أن يحاول شرح المعني الإجمالي للآية ، وما توحي به بشكل لا يكاد يختلف كثيرا عن التفسيرات المألوفة، وقد يحتاج إلي مأثور من المأثورات ، وإن تتبعنا أسلوبه فقد نجده متأثرا بمفسرين سابقين أمثال الرازي والبيضاوي وغيرهم من المفسيرين من المنتمين الي فرق ومذاهب عقلية أو صوفية بحيث المجال متسع لاستعمال العقل في فهم النص القرآني.

فإن كانت الآية بعد ذلك تتضمن لفظا يحتمل التأويل العلمي أو به إشارة علمية خاض فيما يريد الخوض فيه من مباحث ومعارف علمية ، وبمجرد أن يبدأ في هذا الاتجاه نجده يستغرق في سرد التفاصيل والنظريات

---

(١٩) تفسير الجواهر جـ١ ص٢.

العلمية مستعينا بالرسوم والأشكال الهندسية ، وإن كانت اللفظة مرتبطة ببعض المعارف الجغرافية استعان بالخرائط مما جعل الكتاب يخرج في صورة ضخمة أشبه بدائرة معارف عامة ، متنوعة الفنون والعلوم .

ولتكن الصورة أكثر وضوحا نأخذ مثالا من تفسيره يعبر عن منهج الرجل وأسلوبه في كتابه ، وقد آثرت أن أذكر هنا مثالا ولم أذكر أمثلة للأخرين لأن هذا التفسير آثار جدلا لم يثره تفسير آخر ، ولذلك قصدت أن يتعرف القارئ بنفسه علي هذا التفسير إن لم يتمكن من مطالعة الكتاب نفسه .

تفسير آية النور في سورة النور [20]

بسم الله الرحمن الرحيم

" الله نور السموٰات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور علي نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم " .

بعد أن بين الله من الآداب والأحكام الشرعية في مخالفة هذه الآداب حفظا للمجتمع مما يقوض دعائمه . وتقويته بما يكثر النسل .. عقب علي ذلك بما هو أعلي وأجل من العلوم والمعارف بقوله تعالي:" الله نور السموات والأرض". فكأنه تعالي يقول : أيها الناس ، ارفعوا رءوسكم ، وانظروا إلي جمالي ونوري في شمسي وفي قمري وفي النبات والزهر والنهر. فلم أخلقكم

---

(٢٠) تفسير الجواهر جـ١٢/صـ١٦.

لهذه الأرض خالقين ، وانما لتعيشوا آمنين ما تخلقتم بهذه الأخلاق ثم تسعدوا فيها ما تطلعتم لآفاق الجمال في كوني النظيم ، وقد جعل الله هذا المثل نبراسا للعلوم المشرقة وضربة بما نشاهده في مساجدنا من قناديل النور المشرقة في رحاب المسجد . كذلك نور الله المشرق في عجائب الخلق . وقد فسره العلماء بأوجه هي: تمثيل لمحمد صلي الله عليه وسلم ، تمثيل لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ، تمثيل لكل مؤمن ، تمثيل للقوي الداركة في الإنسان، تمثيل للقوي العاملة في الإنسان ، تمثيل للقرآن الكريم .

وهذا المثل اللفظي الذي جعل شاكلا لعجائب أجسامنا وعقولنا وإدراكنا أشبه بما نصبه الله في الأرض من الأجسام الإنسانية ، إذ أحكم صنعها ، ونظم أعضاءها وخلق وسوي وقدر وأحكم فجعلها العلماء تمثيلا لأمور وهي:

كالسفينة تركبها الروح في بحر الحياة الدنيا حتي الموت .

كالدار فيها السكان المختلفون من القوي الداركة والحس وأعضاء الحركة والهضم ، وأعضاء الخيال والغازية إلخ..

اللوح والنفس تنقش فيها وترسم وتتعلم حتي إذا عملت ما تطيق رمت باللوح ورفعت إلي ربها ، كما يقرأ الطفل في اللوح حتي إذا تعلم ألقاه عنه جانبا.

كالمدينة والروح ملكها والأعضاء منازلها.

"كالدكان " والروح صاحبة والأعضاء الباطنة متاعها والأعمال تجارتها والربح والخسارة في آخرتها . هكذا مثل قنديل المسجد.

الأول : نور محمد صلي الله عليه وسلم .

المشكاة صدره ، والزجاجة صدره ، والمصباح فيه النبوة ، توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة ، يكاد نور محمد صلي الله عليه وسلم وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم به أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضئ ولو لم تمسسه نار .

الثاني : كيان محمد صلي الله عليه وسلم :

المشكاة جوف محمد صلي الله عليه وسلم : الزجاجة قلبه . والمصباح النور الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني - توقد من شجرة مباركة (وهو إبراهيم عليه السلام) - نور علي نور - نور قلب إبراهيم ونور قلب محمد صلي الله عليه وسلم .وهما متقاربان .

الثالث : إبراهيم والأنبياء :

المشكاة إبراهيم ، والزجاجة إسماعيل ، والمصباح محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، سمي الله محمداً مصباحا كما سماه سراجاً منيراً ، والشجرة المباركة إبراهيم ، لأن أكثر الأنبياء من نسله ،لا شرقية ولا غربية- يعني إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما ، لأن اليهود تصلي إلي الغرب ، والنصاري تصلي إلي الشرق .

الرابع : كل مؤمن : المشكاة نفس المؤمن ، الزجاجة قلبه ، والمصباح الإيمان في قلبه ، والقرآن يوقد من شجرة مباركة هي شجرة الإخلاص لله وحده. وهذا أعم.

الخامس : قوي الإنسان الداركة :

تمثيل لقوي الإنسان الداركة الخمس التي بها المعاش والمعاد ، وهي

الحساسة (الحواس الخمس) ، والخيالية التي تحفظ صور المحسوسات لتعرضها علي القوة العاقلة متي شاءت ، ثم العاقلة التي تدرك الحقائق الكلية ، ثم القوة القدسية التي تتجلي فيها لوائح الغيب الخاصة بالأنبياء، فهذه محل لها بالمشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت : فالمشكاة (الكوة) قد شابهتها محل الحواس التي وضعت فيها ووجهها الظاهر، ولا تدرك ما وراءها كالعين فانها لا تدرك ما خلفها . فاذا أدرك المحسوسات وصورت صارت إلي القوة الخيالية ، فاذا أغمضنا أعيننا فاننا ندرك في أنفسنا تلك الصور التي نتخيلها : فهذه القوة التي حفظت تلك الصور هي الخيالية فهي كالزجاجة تقبل صور المدركات وتختزنها، ثم إن قوتنا المفكرة أكبر من الخيالية ، فان هذه القوة الكامنة فينا تتصرف في الصور التي في قوة الخيال فنحكم عليها بالحسن والقبح ، فهي كالمصباح ، فأما القوة العاقلة فهي كالشجرة المباركة لأنها تؤدي إلي ثمرات لا نهاية لها وزيتونها ولا شرقية ولا غربية ، لأنها تجرد المعاني عن الصور وتخترع القضايا الكلية التي لا تخص شيئا بعينه فلا تتقيد بالجزئيات . فأما الزيت فهي كالقوة القدسية الخاصة بالأنبياء فهي لشدة صفائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تعليم ولا تفكير .

السادس : القوة العاقلة :

إن القوة العاقلة في بدء أمرها خالية من العلوم ، ثم نقش فيها العلوم بالحواس الخمس ، فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للأنوار، ثم تعرف العلوم بفكرها كالشجرة الزيتونة أو بالحدس كالزيت ، أو بقوة قدسية كالتي يكاد زيتها يضيء، فانها تكاد تعلم وإن لم تتصل بها العلوم ، فان اتصلت بها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متي شاءت فهي

كالمصباح ، فاذا استحضرتها فهي نور علي نور .

السابع : قلب المؤمن :

قال ابن عباس :" هذا نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضئ قبل أن تمسه النار ، فاذا مسته النار ازداد ضوءا علي ضوئه. كذلك يكاد قلب المؤمن يعلم بالهدي قبل أن يأتيه العلم ، فاذا جاءه العلم ازداد هدي علي هدي. ونورا علي نور".

وسأحاول بتوفيق الله عرض وجه آخر.

وهذه الوجوه وغيرها مما تتفتق عنه العقول الراجحة تصلح لها الآية جميعها ، وتلك خصيصة القرآن الكريم حيث يتضمن من المعاني ما يصلح لها جميعا في وقت واحد .. فكأن الله يقول: كما أنرتم مسجديكم بالقناديل- كذلك أنرت قلوبكم وقلوب الأنبياء وعقولكم وحواسكم وخيالكم، وإني نور السموات والأرض: أنرت الكون المادي باجرامه . وأنرت الحياة بالأنبياء وإشراق بصائرهم ، فنوري في كل الوجود نور علي نور..

وجه آخر : نور الله في المادة :

إن الكون المادي مكون من مجرات ، والمجرات مكونة من النجوم، والنجوم منها الفردي، والثنائي والثربي والمجموعات المتقاربة، ثم إن النجوم المضيئة بذاتها شموس باهرة تتجاذب وتدور حول نفسها كما تدور بعضها حول بعض في تجاذب متعادل بين الكبير منها والصغير ، وهي كلها في داخل دورتين للمجرة الكبري: دورة حول نفسها ودروة حول مركز آخر بعيد لا ندري أحيانا أين هو .."؟

تلك شيمة الكون المادي كله في مجراته ونجومه ، ثم إن للنجوم- لبعضها - كواكب سيارة انفصلت عنها أو عن نجم آخر قريب أو بعيد قائم أو تفتت وتتنوع في الفضاء . وهذه الكواكب نفسها تدور حول نفسها ، وتدور حول نجم بالذات .. كمجموعتنا الشمسية تماما ، فكواكبها التسع السيارة لها دورة حول ذاتها ولها دورة حول مصدر الضياء فيها وهو الشمس.

هذا في الكون المادي في لبناته الكبري، فلندخل إلي بناء الذرة وأصغر لبنة في الكون المادي : لقد ظنوها منذ أجيال قبل الميلاد منذ أرسطو وفلاسفة اليونان واعتبروها الجوهر الفرد الذي لا ينقسم علي نفسه، ظنوها بناء مصمتا، ثم جاء القرآن الكريم يسترعي الأنظار ، فذكر أن الذرة ليست أصغر شيئ ، بل ثمة ما هو أصغر منها . فقال تعالي في معرض التدليل علي قدرته ، والتوجيه للأنظار والعقول للتفكير : "لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين". (سبأ:٣)

"وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين "(يونس:٦١).

ومع ذلك لم تبحث العقول عن الشيئ الذي هو أصغر من الذرة، ثم جاء العلم في القرن العشرين ليقول: إن بناء الذرة يتكون من نواة- بروتون- شحنة كهربية موجبة. والكترون دوار حول البروتون- شحنة سالبة. والنواة تعتبر $\frac{1}{50}$ من الذرة أو أقل ، فانظروا إلي هذا الذي دق عن الذرة التي لا تري بأكبر المناظر المكبرة حتي كان أقل منها بخمسين ضعفا أو يزيد .

ثم ماذا في هذا ؟.. إن النواة الموجبة هي الشحنة الموجبة المضيئة بذاتها كالشمس والنجم في المجموعات الشمسية والنجمية ثم يحيط بها شحنة سالبة فهي كالكواكب بالنسبة للمجموعات الشمسية . أما الشحنة الموجبة فانها كالشمس مضيئة بذاتها ، والألكترون يستمد ضوءه من النواة كالكوكب.

إننا إذن أمام وجهين متماثلين بين أصغر حجر في بناء الكون المادي، وأكبر حجر بين الذرة والمجرة. حتي قال عالم فلكي : إن القوانين التي تعمل في المجرة هي نفس قوانين الذرة . وذلك دليل وحدة الكون ووحدة الصانع الأعظم. وهذا مثال واضح لنور الله في الأرض والكون المادي. فالألكترون وبقية الشحنات تمثل الكواكب وتمثل الزجاجة. والنواة تمثل الشمس وتمثل المصباح ، في المثل المضروب لنور الله في القرآن الكريم .

فنور الله في الأرض هو ذاك، ونوره في السموات ربما كان في الحقيقة- والله أعلم -يعني به نور الله في عالم الروح والملائكة ، فنوره في الناس ما مر من التوجيهات السبعة ، ونوره في الجن له نظير بالإنس، ونوره في الملائكة له نظير بنور الأنبياء بين الناس ، فالله نور الكون المادي، والكون العقلي ، والكون الروحي والإنسي والجني والملائكي: أي الله نور الوجود كله، وقربة الله بمثل قنديل المسجد الذي يرونه ويراه الناس في مساجدهم في كل مكان. وكأن الله يقول : إياكم أن يصدكم ويصرفكم فقه الشرع عن فقه الكون المشرق انظروا إلي سمواتي: فيها شموسها سرج وعقولكم سرج وحواسكم سرج وقواكم الداخلية سرج . ودينكم سراج وأنبياؤكم سرج ، والمؤمنون سرج ، وقد أضأت كل شئ بأنواري وعلومي ظاهرا وباطنا ، ومساجدكم فيها من لا تشغله تجارة ولا بيع عن ذكري ، فلا يشغلكم

علوم الفقه بالبيع والشراء والمعاملات عن النظر في عجائب صنعي وكوني في المادة والعقل والروح وفي الأرض وفي السماء .

لذلك تراه سبحانه وتعالي وقد ذكر الخمر والميسر والحيض والنفاس والأيمان والطلاق والنفقة والعدة والرضاع والخطبة ، قال بعد ذلك: حافظوا علي الصلوات والصلاة الوسطي، أي لا يشغلكم ذلك عن هذا الجمال والروعة وذلك مجال الرقي الحق .. وهنا لم يذكر الصلاة بل ذكر هدف الصلاة الأعلي حيث عبر بالنور الذي عم السموات والأرض، وما نور السراج إلا أثر من آثار النور في الشمس ، فالزيت بعض عصارة الثمار في الأشجار والنبات ، وهي بدورها بعض عناصر الأرض ومواردها. مادة ساذجة لاصورة فيها ، والمادة قبس من نور العقول المجردة فاضت من ذلك العالم الأقدس بالنظام الأكمل.

وجه آخر للمؤلف :

ذكر الله تعالي نور السموات والأرض وبالنجوم والكواكب ، ومثل بالسراج الذي هو أثر من آثار النور العام مثل به لما هو أتم وأكمل ، وهو نور العقول والبصائر ، ولذلك توضيح:

العقل عند الحكماء :

العقل عند الحكماء كأرسطوا وأفلاطون وسقراط والفارابي وابن سينا والغزالي والرازي وابن رشد وأضرابهم : إما عقل بالقوة ، أو بالفعل، أو مستفاد ، أو عقل فعال ، وإليك مثالا موضحا:

ابن الملك الشاب الذكي ملك بالقوة، فان ولاه أبوه ولاية فهو ملك

بالفعل وبالقوة، فان تولي الملك بعد أبيه فهو ملك بالفعل ، فان أحسن إدارة ملكه وأشرف عليه إشرافا كبيرا ، وبصيراً فهو ملك مستفاد . ونظيره في العقول : الطفل العادي مستعد لم ما حوله ، وما يزال يحاول حينئذ عاقل بالقوة ، فان اكتسب معرفة كبيرة فهو صاحب عقل مستفاد : أي أن العقول الإنسانية في أول أمرها مستعدة لاقتناص الصور من هذه المادة ، فكل إنسان ينظر ويسمع ويبصر ويشم ويذوق ويلمس وتلك صفات المادة وصورها ، وصور المادة أثواب لها ، وقد عدها الحكماء ثوبا كالألوان والأصوات ، إلخ .. وأثواب المادة خلق العقل ليكتسي بها ويلبسها منذ الطفولة الباكرة حتي يصل إلي مقعد الحكماء .

العقل المستفاد والعقل الفعال :

والعقل المستفاد عند الإنسان – في الحكماء والأنبياء – نظيره في عالم الروح – ما وراء المادة – العقل الفعّال ، ذلك العقل الذي لم يقتضي معارفه من المادة ، بل علومه مغروسة فيه منذ وجد بفطرته، وقد اكتسبت المادة صورها من أثر ذلك العقل الفعال وفق ما قام به وارتسم فيه. وهذه العلوم كلية فيه ، وإنما تنقسم في المادة وتتوزع في أثوابها المختلفة وأحجار بنائها، وعقولنا كذلك تجمع من المادة معارف غير منقسمة ولا موزعة لتنزهها عن الانقسام.

وهذا العقل الفعال نسبته إلي عقولنا كنسبة الشمس لأبصارنا ، فاذا كانت أبصارنا مستعدة للإبصار ، أي لو أشرق نور في الهواء وأنعكس من الأشياء علي قرنية العين وعدستها ، فصور الأشياء علي شبكيتها– أدركته وفهمته أعصاب المخ بالعين : فكذلك العقل الفعال إذا أشرق علي عقولنا إشراقا كاشراق الشمس في الهواء والعين فان المعاني تتمثل في عقولنا كما

رسمت الصورة في القوة الباصرة - فالعقل الفعال شمس بالنسبة للعقول التي هي عيون استقبال لضوئه ، وإشراق العقل الفعال كإشراق الشمس الحسي ، وحصول الصور في العقول كحصول المرئيات في أبصارنا : فإذا حصلت المعقولات في نفوسنا واستنتجنا بها علوما أخر فانه يقال: إن العقل عندنا بالفعل بالنسبة لما عرفناه ، وبالقوة لما لا نعرفه ، فإذا ارتسمت المعارف في نفوسنا يقال : إنها عندنا بالفعل ثم يكون للعقل المستفاد: ثم إن العقل بالقوة كأنه مادة للعقل بالفعل ، والعقل بالفعل كأنه مادة للعقل المستفاد ، وهو كمادة للعقل الفعّال وإدراكنا من الجزئيات في الصور والمحسوسات إلي الكليات في المعارف ، وأما العقل بالفعل فيتنزل عن الكليات إلي الجزئيات بلا زمان .

الصورة والمادة والمعاني والعقول :

لا تظن ان المعاني تنقش في العقول كنقش الصور في المادة ، والصورة- كما هو معلوم- غير المادة فنقش الخاتم غير معدن الخاتم .. كالثوب غير الإنسان ، أما المعاني فإنها نفس عقولنا : كالصورة في المرآة عين المصور، إذ لا مادة ثمة ، فكل معني عقلناه فهو نسج عقولنا : فالله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا ، وجعل لنا السمع والأبصار والأفئدة، فاقتبسنا من المادة معلومات كونت عقولنا ، ولا شئ وراء عقولنا ، وليست المعارف صفات لعقولنا بل هي نفس العقول.

ومعناه ان عقولنا تعتبر : عقلا ، وعاقلا ومعقولا .. فإذا تعقل الإنسان نفسه فالعقل هو نفس المعقول، وهو العاقل، فإذا نحن اكتسبنا عقولا مستفادة منالمادة وصورها والتصرف فيها لتذهب بها إلي عالم آخر- فأجدر بنا أن نقول: إن ثمة عوالم لم تكتسب علومها من المادة بل هي فيها

كامنة ، ثم هي تشرف علي إكساب عقولنا هذه العلوم عن طريق إشرافه علي المادة وتصويرها وتحرير قوانينها . ومعلوم أن المادة هي محور معلوماتنا هنا : أي أن مثال القنديل في المسجد ونور الكواكب ضربة الله لأنوار القلوب، وإلي ما ينقش في العقول من المعاني وما تزال تنتقل من معني لآخر، ومن مقام لمقام حتي تصل في الفهم عن عالم الملائكة ذوات العلوم الكامنة بالطبيعة .

ولعمري لضياء القنديل لحيطان وجدران ، أما الحقائق فنور البصائر والأبصار ﴿فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور﴾(الحج:٤٦) .

قطرة ماء في تفسير " الله نور السموات والأرض"

نظرية النور والمادة:

إن روعة الخلق تتجلي في آفاق السموات والأرض ، والقرآن دل كثيرا علي ذلك ، وهناك روعة أخري للخلق تغيب عن الكثيرين .

إن كل ذرة في أرض أو قمر أو شمس أو كوكب أو نجم أو سديم أو ماء أو غاز.. إن كل ذرة في الكون الادي من النور، فما بالك بالسموات وما فيها من كائنات وعوالم ؟ وصدق الله العظيم:"الله نور السموات والأرض".

يقول العلامة هنشو الفلكي الطبيعي بمجلة هاربر الأمريكية في سنة ١٩٢٦م: إن بعض قطرات الماء تصل إلي ثلث سنتيمتر ، فلو كبرناها إلي ١٥سم لارتجفت وظهرت عليها ألوان قوس قزح، فلو كبرناها ١٧٠مترا لزال القوس وظهر الماء فقط، فلو كبرناها ١٠٠ ميل لظهرت جواهر الماء الصغيرة

ويصبح كل جوهر في حجم (الجرزة) وقطرة ٥ , ٢مم، ومناه أن كل قسم لا يقسم لأنه جوهر فيحلل فقط العناصر الأصلية لا للماء ، وتعني به " أكسوجين وأيدروجين" متحدين تماما بنسبة ١:٢ وحينئذ لا يمكن فصلها إلا بالكيمياء .

فلنكبرها إلي مائة ألف ميل فيصبح قطر الجوهر الفرد منها ٤٠ قدما تقريبا ، ريفيدنا هذا التكبير فقط في رؤية كل من الاكسوچين في الوسط والأيدروجين ذرتين عن يمين وشمال ، وهذه الذرات لا تنقسم وإنما تتكون من شئ آخر سنعرفه . وجوهر الأكسوجين في الوسط أشبه بقنديل في المركز تحيط به ست دوائر تبعد عنه ٢٠ قدما ، وهذه الدوائر في سطحه ، وذرتا الايدروجين دائرتان من النور قطر كل منهما سبع أقدام تدوران حول مركز النور.

ولكي نري كل ذرة منهما فلنكبرهما بعد ذلك ألف مرة فتصبح أكبر من فلك الأرض حول الشمس، ويصبح قطر الجوهر المائي (ذرة المياء) ثمانية أميال ، ونري دوائر النور السابقة في الأكسوجين والأيدروجين خطوطاً وهمية من النور ترسمها نقطة صغيرة من النور تدور حول مركزها في الثانية الواحدة ٦ آلاف مليون مليون دورة : وهذه النقطة الدائرة هي (الكهربا السالبة) ومركزها النوري يسمونه (الكهربا الموجبة) ، وهذه الدوائر التي رسمتها النقطة في (مج ويد) ما هي إلا كالدوائر التي ترسمها شعلة نحركها نحن بسرعة ، فترسم دائرة في مرأي اعين فقط ، أما الواقع فهي الشعلة فقط .

فالجوهر المائي : مج أأكسيد٢٠، وكل منهما نقطة من النور الموجبة من حوله دائرة من النور السالب، وبالدوران السريع صار كل منهما غازا،

وبالاتحاد صارا ذرة ماء ، والأصل فيهما النور ، بقي أن نعرف أن عدد جواهر الماء الفردة = ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جوهر: أي ذرة ماء متحدة فيها مج ١:يد ٢ وأعجب من ذلك ان كل ذرة منهما مجوفة وفيها من البعد بين الكهربا الموجبة أو النواة والسالبة (الالكترون) كما بين الشمس والأرض وذلك في جميع الذرات - في العناصر المادية التي وصلوا في معرفتها إلي ٩٢ عنصرا أصيلا تتكون منها جميع المواد في الأرض والكواكب والنجوم والهواء بينها .

نتيجة :

إذن فجميع عالمنا المادي مكون من النور ، نقطة نور تدور في الفضاء حول مركز نور فترسم دوائر من النور ، قطرة الماء مثلا أشبه بالمشكاة ، كذلك كل ذرة ، ودوائر الأنوار الحادثة داخلها بسرعة جري النقط النورية في عناصرها أشبه بزجاجة المباه ، والمصباح أشبه بالنقطة النورية في المركز (البروتون أو النواة).

وبذلك ظهرت المشكاة والزجاجة والمصباح ، وبقي ما يوقد منه المصباح فجعله الله تعالي يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، وربما أفاد ذلك الوصف : أنها ليست من عالمنا الأرضي ، بل من العالم الإلهي الذي لا شرق له ولا غرب ولا زمان ولا مكان .

وبذلك رأينا قطرة الماء نورا بل قطعة الحجر وحفنة التراب ، وما هذا الا شرارة وشعلة مقدسة من انوار الحق في كل الوجود ، وعلينا لندرك هذا النور أن نفتح أبواب عقولنا لندرك هذا الجمال الذي سيصبح رائعا جليلا واضحا عندما تصفوا وعندما تودع هذا الكون المادي المحتجب في نفسه .

وحينئذ تكون بتزنين الله تعالي وتضله - في معقد صدق عند مليك مقتدر وندرك بعدئذ تفسير قوله تعالي :" ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون " حتي في الذرة فيها موجب وسالب ، كالذكر والأنثي ، أو هما زوجان متناظران ومكتملان .. وكذلك في جميع الكائنات النباتية والحيوانية وقد ظهر ذلك في كل الديانات تقريبا.

وفي الفارسية مثلا : إن الله خلق اصلين هما الخير والشر ، ولا يقوم العالم الا بهما ، ثم جاء المخرفون فجعلوا للخير إلها وللشر إلها ، وهكذا طبع العدد " زوج وفرد "، والحساب جمع وتفريق ، والعالم مركب من التنافر والمحبة ، وكلها ترجع للأية : " ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون" حتي ذهب فيثاغورس الي القول بأن العالم : عدد ونغم ، ومن فلاسفة اليونان من قال : كراهة ومحبة .

ولا تنس صلة هذه الآية بقوله تعالي في أول سورة الأنعام :" الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون" وقوله في سورة النمل (٨٨) (وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شئ ، إنه خبير بما تفعلون).

فليراجع تفسيرها أيضا في الجواهر ..

ويتضح من هذا المثال أن الشيخ طنطاوي جوهري لا يعتسف -كما يقول الذهبي- في تفسير الآيات ، ولا يلوي عنق النص ، فالتفسير بهذه الصورة يشمل المستويين ، المستوي العادي الذي يحتاجه القارئ ولو قارناه بأي تفسير آخر لما شذ عنه ، أما في المستوي الثاني فتظهر الإضاءات العلمية، ولا ندري سببا لمصادرة السعودية له واستنكار المنكرين ، صحيح أن

الاستطرادات العلمية كثيرة وقد يشغل القارئ لهذا التفسير عن مادته القرآنية ، ولكن يبقي في النهاية أن الرجل كان منطقيا في إثبات رؤيته القائلة باشتمال القرآن الكريم لكل العلوم ، علوم الأولين والآخرين ، وبالتالي فهو يتضمن العلوم الحديثة التي يدعون أنها إعجاز العصر .

وهنا يقع المزلق حيث يبدو القرآن من هذا المنطوق في ضائقة الدفاع وعدم المواءمة مع علوم العصر وحاجاته ، ومن ثم تكون همة الرجل كلها موجهة في نفي هذه التهمة فيظهر هذا الكم من حشد المعلومات التي أوردها إثباتا لنص قد يتضمن إشارة علمية ، والمزلق هنا بالتحديد؛ فماذا لو تغيرت هذه الأفكار والنظريات العلمية التي استعان بها ، هل يتغير القرآن مع تغيرها ؟ أم تصبح هناك معان جدد للقرآن في ضوء ما تستحدثه النظريات الجديدة ؟ ويصبح القرآن وكأنه معلق بهذه النظريات ومرتبط بها .

ومع هذا كله جاء الكتاب قيما وشاملا ومستفيدا من علوم كثيرة ، علمية ونظرية وفلسفية بل وصوفية ومن ينظر إلي المثال المطروح آنفا من سورة النور يتأكد بما لا يدع مجالا للشك أن الرجل كان موسوعة علمية متنقلة جمعت من كل صنف من العلوم الفقهية واللغوية والصوفية والعلوم الطبيعية ، من علماء الشرق وفلاسفتهم . ومن علماء الغرب وفلاسفة اليونان القدماء وقد صهر ذلك كله في بوتقة واحدة بقدرة فائقة ترجع إلي عاملين مهمين: خيال خصب فعال يستطيع أن يتخيل المعاني ويصورها تصويرا جذاباً ، وفكر عميق جمع كل هذه المعارف ليصوغها في القالب الذي وضع فيه تفسيره هذا .

يمكن القول بأن الشيخ طنطاري جوهري يمثل قمة نضوج التفسير العلمي

المتكامل للقرآن الكريم بكل ما يحمله من معاني مصطلح "التفسير العلمي للقرآن" ، ولذلك فإن الجهود التي جاءت بعده في هذا الصدد أفادت منه، كما أنها جاءت في إطار مايسمي ببيان الإعجاز العلمي للقرآن أو تفسير الآيات الكونية، أي أنها جاءت منبثقة من قضايا معاصرة يطرحها أصحابها في إطار بيان تلاؤم إعجاز القرآن لكل عصر من العصور، وأنه صالح لكل زمان ومكان أو في إطار الرد علي المتهمين للقرآن بعدم تلاؤمه مع مقتضيات العلم الحديث صاحب السيادة العليا في هذا العصر خاصة بعد سيطرة النزعةالعلمية علي الحياة بدرجة يصعب معها تجاهلها حتي في تفسير القرآن الكريم.

والذي لا شك فيه أن معظم المفسرين سواء ممن ينتمون إلي المدرسة الاجتماعيةأو إلي غيرها من الاتجاهات لم تخل جهودهم التفسيريةمن الإفادة من المنجزات العلمية أو من الإشارة إلي آية كونية لأن لها ارتباطاً بالعلوم الحديثة وأحيانا يستعينون بهذه المنجزات علي تفسيرآية أو غير ذلك من الصور التي يمكن أن ترد في إطار تفسيراتهم للقرآن، بل امتدت أحيانا إلي الحديث النبوي الشريف كما حدث من د. أحمد عمر هاشم في كتابه"السنة النبوية وعلومها، النبوي دافع فيه عن حديث الذبابة واستغرق دفاعه نحو أربع صفحات ممتلئة بكل ماقاله علماء الطب والتشريح الذين ذكروا معلومات تتوافق مع الحديث الشريف (٢٢)،وبالرغم من المعارضة الشديدة لمسلك الشيخ طنطاوي جوهري إلا أن الرجل وضع بذرة هذا الاتجاه الذي ما لبثت التطورات الاجتماعية والعلمية أن رعتها ونمتها، وانتشرت الجهود التي تتعرض لقضايا الإعجاز العلمي أو الإشارات الكونية فـــي

---

(٢٢) السنة النبوية وعلومها ط أولي دار الكتاب الإسلامي بمصر ١٩٨٥هـ أحمد عمر هاشم من ص١٨١- ١٨٥

القرآن الكريم سواء بالكتب أو المقالات في الدوربات السيارة.

والملاحظ في معظم هذه الجهود أن بعض من قاموا بها كانو من أصحاب المهن العلمية فكما كان الشيخ الطبيب محمد بن أحمد الاسكدراني صاحب كشف الأسرار النورانية طبيبا كان الأستاذ محمد محمود ابراهيم صاحب " إعجاز القرآن في علم طبقات الارض" أستاذاً للجيولوجيا وهندسة التعدين بهندسة القاهرة، وكذلك الدكتور محمد جمال الدين العدي صاحب كتاب" من الآيات الكونية في القرآن الكريم" أستاذ الطبيعة الجوية بكلية العلوم بجامعة القاهرة، وهو من اشهر علماء الفلك، وكذلك الأستاذ الدكتور/ محمد عادل ابو الخير صاحب كتاب" اجتهادات في التفسير العلمي في القرآن الكريم" وهو طبيب مشهور، والدكتور عبد الفتاح محمد طيرة صاحب كتاب" خلق الإنسان دراسة علمية قرآنية" والجزء الاول منه" من سلالة من طين " طبيب وأستاذ بكلية الطب بجامعة القاهرة هذا بالإضافة إلي بعض من اسهموا في هذا المجال من غير العلميين، وهم باحثون مخلصون للفكرة مثل الاستاذ عبد الرازق نوفل، والدكتور معروف الدواليبي، والأستاذ الدكتور/ يحي هاشم حسن والأستاذ محمد كامل عبد الصمد، والأستاذ عبد المنعم السيد العشري، وغيرهم كثيرون ممن كتبوا في هذا الموضوع من العلميين وغيرهم الذين كتبوا مقالات في الدوريات الإسلامية والعلمية، بل إننا نستطيع ان نقول انه أصبح ظاهرة العصر الحديث يتحدث فيه الخطباء علي المنابر سواء كانت لهم صلة بالموضوع أو لم تكن والمتحدثون في وسائل الإعلام للسموعة والمرئية، وقد توج ذلك كله بتلك الجمعية التي الفت منذ زمن قريب وتحمل اسم "جمعية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم".

ونطمح أن نتعرض-إن شاء الله تعالي - لكل جهد من هذه الجهود بالتفصيل في جزء ثان من كتاب "التفسير العلمي تاريخ وتطور" الذي صدر الجزء الأول منه ، لان الإسهامات كثيرة، وتنوع مداخلها كبير، وقد نتمكن إن شاء الله تعالي من هذا الأمر بعد تمحص وتمكن من كل ماتضمنته من أفكار علمية ليكون درسنا لها علي أساس علمي موضوعي، وإلي أن نتمكن من ذلك نشير إلي ملاحظات أولية عامة تجمع بينها.

أولا : بعض هذه الكتب خُصص لظاهرة بعينها من الظواهر الطبيعية وحاول ربطها بالقرآن الكريم تذكر من هذه علي سبيل المثال لا الحصر كتاب الدكتور جمال الدين الفندي "من الآيات الكونية في القرآن الكريم" والذي يركز علي الفضاء، السماء وأجرمها، وظواهرها الرياح والمطر والبرد. وكذلك الدكتور محمد عادل أبو الخير في كتابه اجتهادات في التفسير العلمي في القرآنم الكريم" وهو يركز علي التكوين الإنساني بكل جوانبه حتي نفسه وفؤاده وتفكيره، وكذلك الدكتور عبد الفتاح محمد طيرة وكتابه "خلق الإنسان دراسة علمية قرآنية" وقد صدر الجزء الأول منه بعنوان" من سلالة من طين" ووعد صاحبه بإكمال الحلقات في أجزاء أخري لم تطبع حتي الآن أي تحوله إلي نطفة ثم مراحل التكوين التالية العلقة والمضغة ثم الجنين الكامل، وهو بحث مستفيض في أربعة عشر فصلا تناولت كل دقائق هذا الموضوع، وصاحبه متسلح بسلاحين ضروريين، دقة التخصص ومنهجية العلم.

وبعض هذه الكتب تكلم عن الظواهر العلمية بصفة عامة، والآيات التي تتضمن إشارات إليها في القرآن الكريم وذلك مثل الأستاذ محمد

محمود إبراهيم وكتابه" إعجاز القرآن في علم طبقات الأرض" بالرغم من انه يبدو متخصصا في دراسة ظاهرة بعينها وهي الأرض بكل ظواهرها إلا أن صاحبه خاض في أمور كثيرة متعلقة بها كالإنسان حيا وميتا إن جزءا من أجزاء الكتاب سماه صاحبه برسالة الأدوات، وكذلك الأستاذ محمد كامل عبد الصمد صاحب كتاب" الإعجاز العلمي في الإسلام" - القرآن الكريم- وبالرغم من أننا لانعرف تخصص صاحبه إلا انه طوّف في كثير من القضايا العلمية منطلقا من آيات القران نفسه، وقسمها إلي فصول يشمل كل فصل منها علما من العلوم الطبيعية وكذلك علم الجغرافيا، وكذلك كتاب الأستاذ عبد الرزاق نوفل" القرآن والعلم الحديث" الذي تضمن بعض آيات القرآن الكريم العلمية ووجه الإعجاز فيها، وتبعه بكتاب عن الآيات العلمية يحاول أن يحلق فيه بما استحدث من نظريات علمية.

ثانيا واضح أن هناك اتجاهين وإن كان منطلقهما واحد، وهو محاولة إثبات ترافق الدين مع العلم الحديث كنوع من الرد علي من ادعوا رجعية الدين وصلاحيته لزمان دون غيره، وعدم ملاءمته لمستحدثات العلم الحديث أو حسب قولهم عدم ملاحقته لمبتكرات العلم، وهذا المنطلق الخاطئ كان وراء ظهور كثير من هذه المحاولات في صورة دفاع عن الدين، وهو أمر غريب، لأن الدين ليس في حاجة إلي الدفاع فالقرآن الكريم مثله مثل سائر الكتب السماوية ليس مطالبا بأن يتضمن تفصيلا لنظريات علمية يصل إليها العقل البشري وقد يتراجع عنها ويصل إلي ما هو أفضل منها، وهذا ما نلاحظه علي كثير من أصحاب هذه الجهود الجيدة إذ نجد بعضهم يستدل بمقولات علماء غربيين ونظرياتهم ويذهب إلي أن القرآن سبق هذا بكثير من السنين مع أن الأمر لايحتاج إلي كل ذلك لأن القرآن دستور للدنيا والآخرة

يكفيه دعوته للتفكر والنظروالتأمل في عجائب الكون لمعرفة بديع صنع الله ومن خلالها توكيد الإيمان وتوثيقه وذلك من خلال الفهم الصحيح للآية الكريمة" وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة" ولن يكون خليفة إلا بالسعي، وهو ماينتج عنه الفكر وبالتالي النظريات، أما أصحاب الاتجاه الثاني علي قلتهم فقد انطلقوا من المنطلق نفسه ولكن في الاتجاه الصحيح وهو الاجتهاد في تفسير الآيات التي تتضمن إشارات كونية سواء كانت خاصة بالسماء أو بالأرض فالنص القرآني عندهم هو القاعدة التي ينطلقون منها.

ثالثا: إن تسمية الاتجاه بالإعجاز العلمي للقرآن ينطلق من مفهوم شائع لكلمة الإعجاز والتي تعني شيئا معجزاً لايستطيع أحد أن يصل إليه، ومن وجهة نظري أنه فهم خاطئ للإعجاز، فكيف يكون معجزا وقد توصل العلماء إلي مكوناته؟ كيف تكون معجزة ثم يتوصل إليها الإنسان؟ الواقع أنهم اعتبروا- من وجهة نظرهم-سبق القرآن لذكرها قبل أن يصلوا إليها هو الإعجاز، مع أن الإعجاز الحقيقي في القرآن سيظل فوق طاقة الناس يجتهدون حوله وقد يصلون إلي فهم بعض مكوناته ولكن لن يصلوا مهما أوتو من قوة علمية وإبداعية إلي جميع مكونات هذه المعجزة الإلهية الكبري، وذلك هو سر الإعجاز الحقيقي، أن يظل النص- بالرغم من تصورات بعض الناس عن ظاهره أنه مفهوم وأنه واضح-يعطي وكلما أتي قوم آخرون اجتهدوا في استنباط ماينفعهم وما يفيدهم حتي يرث الله الأرض ومن عليها.

ولذلك فإن تسمية الاتجاه أو الجمعية، بجمعية البحث في الآيات الكونية في القرآن وتفسيرها هو الأقرب إلي الصواب إذ يحفظ للقرآن

جلاله وعظمته وعطاءه ويحفظ للعقل البشري جهده في فهم النص فإن أخطأ فله أجر الاجتهاد وليس عليه وزر تحميل القرآن مسئولية فشله وعدم توفيقه وإن أصاب فله أجران؛ أجر الاجتهاد وفرحة النجاح في الفهم لما في ذلك من عظيم الفائدة التي ستعم علي الناس جميعا.

الملاحظة المنهجية الأخيرة هو أن كثيرا من هذه الجهود تتشابه مع بعضها خاصة تلك التي تخوض في موضوع واحد وذلك لأن الأساسين اللذين تعتمد عليهما هذه الجهود واحد، فهما يقومان علي الآيات التي تتحدث مثلا عن خلق الإنسان في القرآن، والنظريات العلمية التي تناقش هذه الظاهرة واحدة اللهم بعض التمايز في أسلوب التناول أو في عرض بعض الأفكار حسب مستحدثات العلم، وذلك يعود بالدرجة الأولي إلي الفترة التي خرج فيها الكتاب والمؤلف؛ فمثلا النظريات والأفكار التي طرحها واعتمد عليها الشيخ محمد بن أحمد الإسكندراني تختلف بالتأكيد عما اعتمد عليه الدكتور محمد عادل أبو الخير والدكتور محمد عبد الفتاح طيرة، وهكذا نجد أن الاختلاف ينتج من تباعد الزمن ومن مدي إلمام المجتهد بمستحدثات العلم، وليس إلي تضارب في النص، فالنص ثابت، والفهم متغير، وإن كانت هناك بعض القضايا التي تحدث عنها القرآن في هذا الشأن ثابتة في القرآن، وتعد أيضا من الثوابت في العلم مثل تدرج خلق الإنسان من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم العظام واللحم إلي أن يصبح خلقا مكتملا، فهذه لانجد إختلافاً حولها بل تطوراً في فهم بعض الجزئيات التي تصاحب هذه التطورات.



الفصل الثانى

المدرسة الاجتماعية في التفسـير

تقديم:تطور الحياة الاجتماعية وتأثيره في التفسير

كان من نتيجة الاتصال الحضاري بالغرب علي المستويين الفكري والعملي حدوث تطور في الحياة الاجتماعية بكل مظاهرها في المأكل والمشرب والملبس، وفي التعاملات الاجتماعية، سواء كانت اقتصادية أو مالية أو أحوالا اجتماعية بين الناس، وحتي في وسائل الحياة التي يستعملها الإنسان في حياته اليومية، وقد أدي ذلك إلي إثارة كثير من التساؤلات حول موقف الدين من هذه المستجدات التي دخلت حياتنا.

وتواكب ذلك مع ظهور حركة الإصلاح الديني التي قادها جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده ومن بعده تلميذه السيد محمد رشيد رضا، ومعهم عدد من أعلام الفكر الإسلامي في ذلك الوقت، وقد ركزت هذه الحركة جهدها علي ضرورة تجديد الفكر الديني الذي شابه الكثير من جراء سيطرة عصور الظلام سياسيا وفكريا مما أدي إلي تقوقع الفكر الديني وانحصاره في ممارسات خاطئة، كل ذلك بهدف تغييب العقل العربي والإسلامي حتي يمكن استمرار السيطرة السياسية عليه.

وفي إطار حركة النهضة الشاملة كان لابد أن ينال الفكر الديني نصيب منها علي يد هؤلاء الزعماء الذين لم يعبأوا بما يمكن أن يحدث لهم، وإن كان قد حدث بعضه بالفعل، ولكنهم أخلصوا لفكرة واحدة كانت ذات اتجاهين الأول إثارة العقل العربي والإسلامي بطرح مفاهيم جديدة تتفق وروح العصر. والثاني، الإفادة من هذه الصحوة في التحررمن الاستعمار بكافة أشكاله، ورفض التبعية، وهي نتيجة حتمية للاتجاه الأول.

وكان من الطبيعي ان ينال القرآن الاهتمام الأول، باعتباره المصدر الأساسي الأول للشريعة الإسلامية، وقد نالت السنة أيضا وهي المصدر الثاني، اهتماماً كبيراً ولكن من خلال الطرح الجديد لتفسير القرآن الكريم الذي كان هدفه الأول التركيز علي مافي القرآن من سُبل ووسائل لإقامة مجتمع قوي متكامل يقوم علي أساس الإيمان والعقل والفهم الواعي لنصوص هذا القرآن التي أعطت ومازالت تعطي لكل عصر بحسب حاجته، ولاعجب فهو حبل الله المتين، وكتابه المبين وهو المنهل العذب الذي يجد فيه كل لائذ حاجته، كما أنه: (لايخلق من كثرة الردّ)، ومن هذه الرؤية الإصلاحية التي تهدف إلي إقامة مجتمع إسلامي صحيح. أطلق علي هذه المدرسة اسم المدرسة الاجتماعية في التفسير.وقد نظر مفكرو هذه المدرسة إلي مرحلة السيادة الإسلامية فوجدوا أنها تحققت بفضل النزعة العقلية والفكرية التي سادت في ذلك الوقت حتي كونت حضارة علمية تعد الأساس الذي انطلقت منه الحضارة الحديثة، وفي هذه الفترة نشط العقل العربي، وانطلق من محاولاته في فهم القرآن إلي تأسيس مذاهب فكرية، وتبعها إنشاء علوم نظرية وطبيعية كثيرة.

ولذلك فقد كرست هذه المدرسة جهدها في اتجاهين الإصلاح السياسي، والإصلاح الاجتماعي منطلقتين من القرآن الكريم، وكان الاتجاه الأول هو الباعث لهذه الحركة حيث بدأت دعوتها علي يد جمال الدين الأفغاني إلي ضرورة تغيير واقع الأمة الإسلامية سياسيا حتي تستطيع التخلص من الاحتلال والتبعية وتصبح لها شخصيتها المستقلة، ويعود لها مجدها القديم الذي كان الفكر الإسلامي الواعي أهم دعائمه، ولكي يتحصن هذا الاتجاه السياسي ويحقق أهدافه كان لابد من تطوير الواقع الاجتماعي حتي يصبح

دعامة قوية له ولذلك سار الاتجاهان في طريق واحد متلازمين يصعب الفصل بينهما[1].

وقد انعكس ذلك علي جهد مفسري هذه المدرسة بدءاً من مؤسسها الإمام الشيخ محمد عبده حتي آخر مفسر يعد امتداداً لها هو الشيخ محمد متولي الشعراوي ومروراً بالشيخ محمد رشيد رضا والشيخ محمد مصطفي المراغي والشيخ شلتوت والشيخ سيد قطب، وقد كان الطابع الغالب علي منهجهم جميعا في التفسير هو ضرورة إصلاح المجتمع من الناحيتين السياسية والاجتماعية عن طريق إرشادات آيات القرآن الكريم، وبالرغم من تميز أسلوب كل منهم بسمات خاصة، وهي مسألة طبيعية بحكم إنسانية الإنسان إلا أنهم في النهاية اتفقوا علي هذا الهدف وهو ضرورة قيام مجتمع إسلامي ينطلق أساساً من صورة المجتمع الإسلامي القديم الذي تكون في عهد النبي صلي الله عليه وسلم والخلافة الرشيدية، ومستلهما روح العصر الذي نعيشه في غير تبعية ولا استعمار، ونعرض فيما يلي لكل مفسر منهم علي حدة لنتبين الجهد الذي قدموه في مجال تفسير القرآن ونختم لهم بحديث عن السمات العامة التي اشتركوا فيها.

---

(١) راجع طرح هذه المسألة بالتفصيل في: عفت الشرقاوي، الفكر الديني في مواجهة العصر ط القاهرة ١٩٧٦ ص١١٦ ومابعدها، وراجع كذلك محمد إبراهيم الشريف، اتجاهات التجديد في التفسير ص٤٢ ومابعدها

١- الإمام الشيخ محمد عبده

وجهوده في التفسير

ولد الأستاذ الإمام في قرية من قري البحيرة سنة ١٨٤٩م، وعاش حياة حافلة بالمتناقضات مابين إقبال علي العلم وإعراض عنه وإقبال عليه مرة ثانية حتي تخرج في الأزهر ونال شهادته العالمية من الدرجة الثانية في سنة ١٨٧٧م[٢]

ولأن الطريق إلي الأزهر كان ينطلق من حفظ القرآن وتعلم تجويده، فقد حفظه الإمام وتعلم تجويده بعد أن قاده إلي ذلك خاله وشيخه في البداية الشيخ درويش خضر وهو أحد المتصوفين في ذلك الوقت ولذلك طبع الإمام في هذه الفترة بالطابع الصوفي حتي تلاقي مع السيد جمال الدين الأفغاني فحول اتجاهه هذا "ودفعه إلي الحياة العاملة ودراسة العلوم المختلفة كالفلسفة والرياضيات والكلام ،الأخلاق والسياسة وغيرها مما لم يكن له مكان في مناهج الأزهر[٣].

ويتوافق هذا مع روح الإمام الذي هرب من المسجد الأحمدي بطنطا ورفض التعلم فيه لجمود مناهجه التي كانت تسير وفق مناهج الأزهر في ذلك الوقت، ومعظمها كان قاصرا علي حفظ المتون والشروح القديمة، فوجد الرجل ضالته المنشودة وأخذ يتعلم حتي اتسعت آفاق العلم أمامه، وربما

---

(٢) راجع: عبد الله شحاتة، منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن نشر المجلس الأعلي لرعاية الفنون والآداب بمصر ١٩٦٣ (الباب الأول - حياة الإمام.

(٣) السيد رشيد رضا. تاريخ الإمام ط المنار ١٩٣١م جا ص٢٦ نقلا عن المرجع السابق ص٢١.

كان ذلك هو السبب الرئيسي في دعوته بعد ذلك إلي تطوير الأزهر ومناهجه في التعلم وهي الدعوة التي جلبت له كثيراً من المشاكل مع شيوخ الأزهر المحافظين الذين رأوافي هذه الدعوة هجوماً عليهم، وإقلالا من مكانتهم.

وكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك علي منهجه في التفكير بصفة عامة والتفسير بصفة خاصة، ومن يقرأ إنتاجه تتضح له هذه الظاهرة، ظاهرة الثورة التي امتدت لتشمل كثيرا من القضايا ذات الحساسية الدينية، مثل قضية السحر والإسرائيليات والغيبيات والمبهمات، وكرامات الأولياء وغيرها من القضايا.

وبالرغم من اعتراضات كثير من الباحثين علي موقفه هذا [٤] إلا أن الإمام كان متوافقا مع نفسه وفكره؛ إذ كيف يساير هذه الأمور وهي التي أدت بالمسلمين إلي الحال التي وصلوا إليها من جمود وجهل، فمن إرجاعهم لكثير من مشاكلهم إلي السحر وإلي الغيبيات؛ ومن إيمانهم بكرامات الأولياء (وبالمناسبة نحن لاننكرها) التي جعلت بعض الجهلاء يسيطرون علي عقولهم باسم هذه الكرامات وقد لايكونون أولياء فعلا.

والإمام يريد أن يضع تصورا عمليا للناس يفكرون فيه بعقولهم ويسعون به في حياتهم، وينطلق هذا التصور من القرآن، وفي سبيل ذلك كان لابد من المنهج العقلي الذي سلكه في رؤيته هذه، ومن ثم فإنه كان يعتمد في تفسيره علي المصحف وحده، ولم يفعل كما فعل أساتذته بأخذ

---

(٤) راجع في ذلك، عبد الله شحاته، منهج الإمام، وقد ناقش بالتفصيل رأي الإمام في قضية السحر وقضية المبهمات ورأي أن الإمام يميل إلي رأي المعتزلة ورد عليه في إنكاره لحديث سحر الرسول صلي الله عليه وسلم ص١٠٩-١٢٠.

كتاباً من كتب التفسير وقراءته، بل تناول المصحف مباشرة، وأخذ يفسره للناس كما يقول عنه عثمان أمين "لايلتزم في التفسير كتاباً، وإنما يقرأ في المصحف، ويلقي ما يفيض الله علي قلبه"(٥)، وهذا معناه أن الإمام لم يلجأ إلي فكر مذهبي يأخذ منه كما أطلقوا عليه بعد ذلك. معتزلي العصر الحديث، ولكنه كان يؤمن بفكره الحر ويعتمد عليه في تفسيره.

ولم يكن إنتاجه في التفسير بالإنتاج الغزير حتي نستطيع أن نقول إنه أتم تفسير القرآن، ولا كان تفسيرا منظما في بادئ الأمر، وإنما كان تفسيرا في داخل مقالات ودروس وخطب تتناول بعض القضايا والمشكلات الاجتماعية، هذا بالإضافة إلي تفسيره لجزء عم الذي يهدف من ورائه إلي تعليم التلاميذ معاني القرآن عن طريق أساتذتهم الذين كانوا يرجعون إليه حين تعن لهم مشكلة في التفسير.

ثم أخذ الإمام في إلقاء دروس في التفسير علي طلابه في الجامع الأزهر بعد إلحاح من تلميذه الشيخ رشيد رضا، وقد أخذت هذه الدروس طابع الانتظام في التفسير لمدة ست سنوات إذ بدأ بأول القرآن، وسار فيه مرتبا حتي وافته المنية، ولم يكمل سوي خمسة أجزاء وبعض الجزء السادس(٦)، هذا هو الجزء المنتظم من تفسيره، وحتي هذا الجزء لم يكتبه الإمام رحمه الله بل شجعه تلميذه الشيخ رشيد رضا وأورده في تفسيره المسمي تفسير المنار، وربما كان هو الأساس الذي بني عليه وأكمله فيمـــا

---

(٥) عثمان أمين : محمد عبده ص١١.

(٦) راجع محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون ج٢/ ٥٣٠.

بعد، ويذكر الشيخ رشيد رضا أنه كان يطلع الإمام علي مايكتبه ويريد أن يطبعه في مجلته"المنار" وربما كان الإمام يصحح شيئا أو يقوّم لفظا أو حرفاً، أي أنه كان مقرا لما كتب تلميذه ومن ثم تصح نسبته إليه.

وكان من عادة الأستاذ الإمام في دروسه أن يراعي حال من يستمعون إليه، فإذا حضره جماعة من البلدان الخاملي الفكر شرح لهم المعني بكلمات قليلة، "وإذا كان هناك من تنبه لما يقول ويلقي له بالا يفتح الله عليه بكلام كثير" (٧).

أبرز القضايا التي تناولها تفسير الإمام:

أشرنا في بداية حديثنا عن الأستاذ الإمام محمد عبده أنه كان ينحو منحي اجتماعيا، وأنه يشارك أستاذه جمال الدين الأفغاني الذي كان يري في الدين الإسلامي عامة، والقرآن خاصة منهاجا متكاملا للحياة الاجتماعية السليمة الكفيلة ببناء مجتمع قوي يقوم علي أسس المحبة والإخاء والتكافل والعمل والإنتاج والتطور.

ومن هذا المنطلق كان أهم جانب ركز عليه الإمام هو إصلاح المجتمع، فلا يكاد يمر بآية فيها إشارة إلي مسألة اجتماعية، إلا وخاض فيها وأفاض في الحديث عن إمكانات تحقيق هذا المسلك أو هذا المبدأ القرآني لإصلاح المجتمع فمثلا في تفسيره لقوله تعالي (إن الأبرار لفي نعيم) يقول الإمام"فلا يعد الشخص برا ولابارا حتي يكون للناس من كسبه ومن نفسه نصيب، فلا يقترن أولئك الكسالي الخاملون، الذين يظنون أنهم يدركون مقام الأبراربركعات من الخشية خاليات وبتسبيحات وتكبيرات وتحميدات

---

(٧) تفسير المنار طبعة المنار ١٣٤٦ هـ جـ١ ص١٤

والمؤمنات، ثم يصوم أياما معدودات لايجتنب فيها ايذاء كثير من المخلوقات مع عدم مبالاة الواحد منهم بشأن الدين قام أم سقط، ارتفع أو انحط[8].

وهكذا يشير النص إلي مدي اهتمام الإمام بأن لايكون معيار العبادة وحده هو المعيار الحقيقي لحصول المسلم علي لقب البر أو البار، بل إن المقياس الصحيح للإيمان يقوم علي ضرورة ارتباط هذه العبادة بالعمل والسلوك الشخصي مسلما مستحقا للقب البر، ونلحظ هنا لمحة اجتماعية ورؤية متفتحة فليست العبرة بمقدار ممارسة العبادات وإنما انعكاسها علي المجتمع وفي آخر النص إشارة إلي أهمية النظرة الكلية للدين، ومساهمة أهله في رفعته باعتبار أن العبادات ماهي إلا وسيلة لبناء الفرد بناء سليما ينعكس اثره علي قوة الدين.

والأمثلة كثيرة في تفسير جزء عم وغيره من المواضع علي منهجه الاجتماعي الإصلاحي، وأبرز مثال لذلك اهتمامه بمسألة اليتيم فعند تعرضه لقوله تعالي: (فأما اليتيم فلا تقهر) [9] يقول : أي فلا تذله، بل ارفع نفسه بالأدب وهذبه بمكارم الأخلاق ليكون عضوا في جماعتك ينفعها ولاينتفع بها ولايفسده التدليل والهوان فيكون جرثومة فساد يتعدي أذاها إلي كل من يخالطها من أمتك. ولو علم الناس مافي إهمال تربية الأيتام من الفساد في الأمة لقدروا عناية الله بأمرهم في كتابه قدرها ولبذلوا من سعيهم ومن

(٨) تفسيرجزء عم ص٢٧ وراجع الذهبي/ التفسير والمفسرون ص٥٤٠

(٩) الضحي / ٩

مالهم في إصلاح حال الأيتام كل ما استطاعوا"[١٠].

ثم كانت هناك عدة مسائل ناتجة عن نزعته العقلية وحرية تفكيره منها:

اولا: أن العقيدة والأفكار المذهبية والعقائدية تتبع من القرآن وتتبعه وليس العكس كما حدث في عصر الفرق ومن ثم كان لايقرأ للمفسرين السابقين عليه قبل إلقاء دروسه في التفسير حتي لايتأثر بما يقوله المفسرون، ويظل تفسيره تابعا من القرآن الكريم ومن ثقافته هو، ومن رأيه وفهمه للقرآن[١١]

ثانيا: واستمرار لهذا النهج كان للامام موقف من المبهمات في القرآن، فهو يسلم بها كما ذكرها القرآن دون الخوض في أسبابها وعللها وتفصيلها كما فعل الأقدمون فأضاعوا جهودهم في مسائل لم يجدوا لها حلا، وذلك لأنها من اختصاص الله وحده فمثلا حينما يتعرض لقوله تعالي: (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين)[١٢] (سورة الانفطار) يقول: "ومن الغيب الذي يجب علينا الإيمان به ماأنبأنا به في كتابه أن علينا حفظة يكتبون أعمالنا حسنات وسيئات، ولكن ليس علينا أن نبحث حقيقة هؤلاء، ومن أي شئ خلقوا، وما هو عملهم في حفظهم وكتابتهم"، وهكذا يغلق الباب أمام عدة تساؤلات قد ينتج عنها - عند ضعيف الإيمان - شـــك إذا

---

(١٠) تفسير جزء عم ص١٢٣ وراجع كذلك الجزء نفسه ص١٤٢، وتفسير المنار ج٤ ص٢٩١

(١١) راجع: التفسير والمفسرون ج٢/٥٣٢

(١٢)الانفطار/١١، ١٢

خاض فيها للبحث عن حقيقتها، وذلك يرجع إلي إيمان الرجل بأن العقل له حدود يخوض فيها كما أن العقل لايستطيع الوصول إلي الحقيقة وراء الغيبيات لأنها تحكم بقانون السماء، وهو فوق كل القوانين، كما أن ذلك أيضا من شأنه أن يشغل العقل عن إصلاح نفسه، علي المرء أن يؤمن بذلك لأن الايمان به يجعله يحسن أعماله خوفا من أن يسجل هؤلاء الحفظة عليه مخالفته لأمر الله، وهو محق إلي حد بعيد في هذا لأن من ينشغل بكيفية تسجيل هؤلاء الناس من شأنه أن يضيع وقته فيما يلهيه عن العمل الصالح.

ثالثا: تفسير القرآن في ضوء العلم الحديث محاولا التوفيق بين العلم والدين، لأنه لا فرق بينهما، إذ إنهما في النهاية يرجعان إلي مصدر واحد هو الله سبحانه وتعالي، ولن نفصل القول في هذه المسألة التي نأمل أن نعرض لها بالتفصيل في الجزء الثاني من كتابنا"التفسير العلمي للقرآن" بل نكتفي بالإحالة إلي مثالين يوضحان منهجه في شرح المسائل التي لها علاقة بالمعارف العلمية، وهما تفسيره لقوله تعالي:"إذا السماء انشقت(١٣) يقول:" انشقاق السماء، مثل انفطارها الذي مر تفسيره في سورة (إذا السماء انفطرت)، وهو فساد تركيبها، واختلال نظامها، عندما يريد الله خراب هذا العالم الذي نحن فيه، وهو يكون بحادثة من الحوادث التي قد ينجر إليها سير العالم، كأن يمر كوكب في سيره بالقرب من آخر فيتجاذبا فيتصادما فيضطرب نظام الشمس بأسره، ويحدث من ذلك غمام

---

(١٣) الانشقاق /١

وأي غمام، يظهر في مواضع متفرقة من الجو والفضاء الواسع، فتكون السماء قد تشققت بالغمام واختل نظامها حال ظهوره"(١٤).

وهنا استخدم هذه المعرفة العلمية في تقريب الصورة التي يكون عليها حال السماء يوم القيامة حين تشقق وتنفطر، ولم يخض في تفصيلات كثيرة من المعرفة العلمية ولكنه في المثال الثاني يتحدث بأسلوب آخر حيث يقدم هذه المعرفة في شرح الآية وذلك عندما تعرض لتفسير سورة الفيل وإرسال الطير علي أبرهة وبعد أن عرض لبعض الآراء السابقة من أن الله أرسل عليهم بعض الأمراض والأدواء فأهلكتهم مثل الحصبة والجدري الذي يكون تأثيرهما شديدا في الجسم قال." وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجديري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت علي أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح، فيجوز لك ان تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فإذا اتصل بجسده دخل فس مسامه، فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمة، وإن كثيرا من هذه الطيور الضعيفة بعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد اهلاكه من البشر، وإن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالميكروب لايخرج عنها، وهو فرق وجماعات لايحصي عددها إلا بارئها، ولايتوقف ظهور أثر قدرة الله تعالي في قهر الطاغين علي أن يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال، ولاعلي أن يكون من نوع عنقاء مغرب، ولاعلي

(١٤) تفسير جزء عم ص٤٩.

أن يكون له ألوان خاصة به، ولامعرفة مقادير الحجارة وكيفية تأثيرها فلله جند من كل شئ)(١٥).

وهكذا يربط بين مكتسبات العلم وبين تفسير الآية، فالميكروب من مكتشفات العلم الحديث، وسواء جاد بنفسه أو حمله طير ضعيف كالذباب أو البعوض فإنه مهلك، وأظن في عصرنا الحاضر مايؤكد ماذهب إليه، وقد أصبح معظمنا يعرف الكثير عن السرطان والإيدز وغيرها من الفيروسات التي تفتك بالإنسان فتكاً شديداً.

رابعا: وانطلاقا من نفس المنهج أيضا يأتي موقفه من الملائكة وإبليس والجن وغيرها من هذه الأمور الغيبية التي أخبرنا بها فعندما يتعرض لتفسير الآيات التي تتضمن حديثا عنها يفسرها مكتفيا بالدعوة إلي الإيمان بها كما جاءت، وإن كان أحيانا يتعرض لبعض الآراء التي تناولت حقيقتها بالتفسير يرد عليه ونلاحظ في هذا الرد موقفه منها خاصة في عبارته "فالحقيقة واحدة، والعاقل من لا تحجبه الأسماء عن المسميات، وإن كان المؤمن بالغيب يري للأرواح وجوداً لايدرك كنهه، والذي لايؤمن بالغيب يقول لا أعرف الروح ولكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها، ولايعلم إلا الله علام يختلف الناس، وكل يقر بوجود شئ غير مايري ويحس، ويعترف بأنه لاينفهمه حق الفهم، ولايصل بعقله إلي إدراك كنهه؟ وماذا هذا الذي يزعم أنه لايؤمن بالغيب-وقد اعترف بما غيب عنه-لوقال: أصدق بغيب أعرف أثره، وإن كنت لا أقدر قدره فيتفق مع المؤمن بالغيب، ويفهم بذلك مايرد علي لسان صاحب الوحي ويحظي بما يحظي به المومنون"(١٦)وغير ذلك من

(١٥) تفسير جزء عم ص ١٥٨.

(١٦) تفسير المنار جـ١ ص١٦٧.

الموضوعات التي تناولها بالنقل وكان إعماله عقله سببا في إنكاره لحديث صحيح أقره أهل الحديث جميعاً خاصة حديث سحر النبي صلي الله علية وسلم"، وذلك أنه تناول مسألة السحر في القرآن تناولا عقليا أشبه بموقف المعتزلة منه وهو تأويلهم للسحر بأنه تخييل، ونفيهم القاطع لأن يكون النبي صلي الله عليه وسلم قد سحر لأنهم يرون أن الله يعصم أنبياءه من مثل هذه الأعمال.

والحق أنه لاينكر هذا الحديث كلية بل ينكر الأخذ به لأنه من أحاديث الآحاد وهو لايري الاعتداد بها في مثل المواقف مما جعل كثيرا من الباحثين يتعرض له بالنقد مثل الدكتور الذهبي[١٧]، والدكتور عبد الله شحاته[١٨] وغيرهم كثير من الباحثين.

ومن هذا المنطلق أيضا تعامل مع قصص الأنبياء ومعجزاتهم تعاملا عقليا فهم منه بعض الباحثين إنكاره لها، وإنما تناولها تناولا عقليا منطلقا منها إلي إرشادات اجتماعية مفيدة، ومتفقة مع منهجه الإسلامي الاجتماعي وأخيرا فإنه مهما يكن رأي الباحثين في الإمام محمد عبده وتفسيره للقرآن إلا أننا في النهاية نراه قد وضع بذرة أخذت تنمو وتترعرع في ميدان التفسير،حيث أعطي الإشارة لغيره ممن كانوا لايجرؤون علي تناول القرآن بهذه الصورة مكتفين بما أثر عن الأقدمين من تفسيرات، وبهذا عده جولدتسيهر"المؤسس الحقيقي للتجديد الإسلامي الصادر في مصر[١٩].

---

(١٧) التفسير والمفسرون جـ٢ ص٥٤٧.

(١٨) منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن ص١٢٤ وما بعدها.

(١٩) جولد تسهير، مذاهب التفسير الإسلامي ت عبد الحليم النجار ط٣ بيروت ١٩٨٥ ص ٣٥٠.

ولعل الموقف الذي اتخذه كثير من الباحثين من إنكارهم له في موقفه من حديث السحر أن الحديث ورد في البخاري وهو من هو، لقد كانت مكانة الكتاب مقدسة حتي وقت قريب بدليل أنهم كانوا يحلفون عليه إذا لم يجدوا مصحفا.

وبالطبع فإن أحدا لاينكر مكانة البخاري وكتابه الصحيح، ولكنه ليس نصاً مقدساً فهو جهد بشري والجهد البشري مهما كانت دقته لايخلو من احتمال ولو ضعيف جدا من الخطأ، ونحن لانقصد الهمز علي البخاري لأننا نحترمه ونعظم عمله العظيم فعلا، ولكنها الحقيقة العلمية، ونظن أن هذا كان منطق الإمام ولم يكن قصده التقليل من قيمة البخاري وصحيحه، بل توافق مع منهجه العقلي الذي أعمله في كل شئ، وقد أفاد منه في طرح فهمه للقرآن الكريم بالصورة التي رأيناه عليها.

ولكننا يمكن أن نقول إن الحرية العقلية التي ألزم الإمام نفسه بها جعلته أحيانا يصل إلي آراء تخالف ماأجمع عليه كثير من علماء القرآن فعند تصديه لتفسير سورة الفاتحة نجده يقول بأنها أول مانزل من القرآن الكريم، ويستند في ذلك إلي معاني سورة الفاتحة والتي يري أنها أجملت مقاصد القرآن الكريم، وهذا يخالف ماذهب إليه كثير ممن عنوا بعلوم القرآن وأسباب نزوله وتاريخ النزول الذين يرون أن أول مانزل من القرآن الكريم هو أول سورة العلق، وقد ردّ عليه السيد رشيد رضا تلميذه الأول والنجيب في تفسير المنار، وبين أن "اقرأ" هو تمهيد للوحي المجمل والمفصل خاص بحال النبي صلي الله عليه وسلم وإعلام له بأن يكون وهو أميّ قارئا بعناية الله ومخرجاً للأميين من أميتهم إلي العلم بالقلم"[٢٠]

(٢٠) تفسير جـ١ ص٢٤-٣٨.

ونحن نتفق مع هذا الرأي لسببين: أولا: لايمكن أن يكون إجماع العلماء علي هذا الرأي عبثاً، وثانيا: أن معاني الفاتحة مكثفة يصعب علي الأمي أن يستوعبها قبل أن يقرأ ويتعلم وبعد ذلك يتلقي المعاني العالية فيستوعبها حتي يكون قادراً علي تبليغها.

٢- الشيخ محمد رشيد رضا

هو تلميذ الإمام محمد عبده النجيب، رغم أنه شامي المولد فقد ولد في طرابلس الشام، وقد حضر إلي مصر لتلقي علومه في الأزهر الشريف،وهنا اتصل بالأستاذ الإمام، وكان أقرب تلاميذه إليه، وقد ألح علي الإمام في كتابة تفسير للقرآن علي غرار الآيات التي كان يفسرها في جريدة العروة الوثقي، ولما لبي الإمام رغبته وأخذ في إلقاء دروسه أخذ يكتب مايقوله الإمام، ثم يعرضه عليه قبل نشره في جريدة المنار[٢١].

القصد من وراء ذلك كله بيان مدي صلة التلميذ رشيد رضا بالأستاذ الإمام، ولذلك يصح عنه وصف كثير من الدارسين بأنه الوارث الوحيد لمنهج الإمام وعلمه، ويفيدنا هذا في معرفة منهجه في التفسير، وطريقته في تناول آيات القرآن الكريم[٢٢].

ولم تمكن المنية الشيخ رشيد رضا من إتمام تفسيره، فقد توفي وهو عند الآية(١٠١) من سورة يوسف، ويقول الذهبي إن الذي أكمل تفسير سورة يوسف الأستاذ بهجت البيطار، كما قام الشيخ بتفسير بعض السور القصيرة مثل الكوثر، والكافرون وغيرهما[٢٣].

---

(٢١) التفسير والمفسرون جـ٢/ ٥٥٠. (٢٢) راجع عبد الله شحاته، منهج الإمام ٢٠١.

(٢٣) التفسير والمفسرون جـ٢/٥٥١.

وكان هدفه من تفسير القرآن هو تقريبا هدف الإمام محمد عبده نفسه، كما انتهج منهج الإمام، ومن ثم يمكن القول بأن ماصح عن الإمام يصح القول به عن رشيد رضا، فقد كان لكليهما موقف محدد من المبهمات والغيبيات والسحر، وكذلك في تناوله للمسائل الفقهية وإن كنا لاننكر حقيقة أساسية أو بديهية أن لكل فرد خصوصية يتميز بها عن الآخر فهذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها لاتبديل لخلق الله، وعلي سبيل المثال نجد فارقا له أهميته ودلالته وهو أن الإمام كانت لديه روح الخطابة والوعظ والحديث الشفوي، ولكن السيد رشيد رضا كان"عالما مستقرأمولفاً بطبعه متنوع الثقافة يغلب علي تأليفه الطابع العملي والبحث العميق، وقد حذق فن التأليف وأجاده ونوع في تصانيفه بما جعلها شيقة محببة"(٢٤)

كما ركز الشيخ رشيد رضا أيضا علي القضايا الاجتماعية والمسائل الأدبية، وعلي سبيل المثال تأكده من أن القران يحمل مستويين المستوي الوضعي أي ماتعارف عليه الناس من أنه يمثل الجزء الأكبر من القرآن، والجانب الثاني وهو الأدبي وهذا لايصلح فيه إلا المتمكنون لقواعد اللغة نحوها وصرفها، أضف إلي ذلك أنه تجرأ علي معجزات النبي صلي الله عليه وسلم، ومع كل هذا يمكن أن نذكر نفس القضايا التي ذكرناها عند الإمام محمد عبده هنا عند تلميذه الشيخ رشيد رضا.

فقد حاول تجريد التفسير من الإسرائليات والخرافات والأحاديث الموضوعة، ولم يأخذ من أقوال قدامي المفسرين إلا مايقتنع به، ولايقرؤها إلا بعد أن يكتب مافهمه حتي لايتأثر بها فهمه لآيات القرآن، وهـــذا هو

---

(٢٤) عبد الله شحاته/ منهج الإمام ص٢٠٣

منهج الإمام نفسه، وإن كنا نظن أنه كان يعتمد علي بعض التفاسير القديمة بدليل إشاراته التي توحي باعتراضه علي آراء بعضهم.

ولكن الشيخ رشيد رضا خالف أستاذه كما يقول هو : "بالتوسع فيما يتعلق بالأخذ من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيرا لها أو في حكمها وفي تحقيق بعض المفردات أوالجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلي تحقيقها بما يثبتهم في هذا العصر بهداية دينهم أو يقوي حجتهم علي خصومهم من الكفار والمبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التي أعيا حلها بما يطمئن إليه القلب، وتسكن إليه النفس" (٢٥).

كما خالف شيخه في مسألة سحر النبي صلي الله عليه وسلم فالإمام محمد عبده ينكر ذلك إنكارا يوصله إلي إنكار الأحاديث الصحيحة في هذا الشأن، ولكن رشيد رضا يقرها، ويصرف السحر إلي مايتعلق بمباشرة زوجاته أي أن السحر وقع علي البدن وليس علي العقل حتي لا يؤثر علي تلقيه للوحي، وهو في هذا حريص علي متابعة الحديث الصحيح ، وعدم التعارض معه.

والحقيقة أن السيد رشيد رضا كان يحاول المواءمة بين ماقاله أستاذه الإمام وبين ماأجمع عليه العامة، وإن كان الشيخ الذهبي ومصطفي الحديدي الطير وعبد الله شحاتة يقرون مسألة السحر نتيجة لورود أحاديث في الصحيحين فيها إلا أننا نقف مع الأستاذ الإمام في هذه المسألة، لأن

(٢٥) تفسير المنار جـ١ ص١٦

الله سبحانه وتعالي نفي تأثير السحر في الأنبياء حين أخبر موسي عليه السلام واصفا تأثير سحرهم بأنه تخيل فقال: (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعي) وحينما خاف موسي طمأنه ربه بأنه لايمكن لمثله أن يخاف من هذا ولن يؤثر فيه فقال له مرة" أقبل ولاتخف إنك من الآمنين"، وفي المرة الثانية جعل الحكم عاما للمرسلين فقال: إني لايخاف لدي المرسلون" فكيف بعد هذا نقول: إن النبي صلي الله عليه وسلم سحر، كما يقول الشيخ الذهبي، أو أن تأثير السحر كان في بدنه دون عقله وروحه"، فكان تأثيره في لأعراض الجسدية التي لم يعصم منها الأنبياء"

وهذا الكلام غريب، فالنبي كل لايتجزأ، والا لما استطاع جسده تحمل مالا يتحمله البشر ونظن في قوله لمن أرادوا أن يواصلوا الصوم كما كان يفعل صلي الله عليه وسلم "لستم مثلي ولست مثلكم انما أنا يطعمني الله ويسقيني" أليس في ذلك دلالة علي رعاية الله لنبيه ككل وليس لعقله وروحه فقط ولاننسي وعد الله سبحانه وتعالي لنبيه محمد صلي الله عليه وسلم في القرآن الكريم بالعصمة حين قال له: "والله يعصمك من الناس" ومعناها واضح، وهو الوقاية، فكيف يمكن أن يقبل هذه الروايات التي تروي عن سحره ولا هذا التبرير سواء من الشيخ رشيد رضا في قوله بتأثير السحر علي نسائه أو تبرير الذهبي وعبد الله شحاته بقولهما أنه كان في بدنه دون روحه، إذا يتناقض قول الشيخ رشيد رضا مع سماح الله للنبي بهذا العدد من الزوجات لأن هذا الأمر سيجعل فيه نقيضه أمامهن فتضيع هيبته والله حريص علي هيبتة نبيه لدرجة تهديدهن في القرآن نفسه بالطلاق (عسي ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) والذي جاء في سورة التحريم.

ومما لاشك فيه أن الأمر يحتاج إلي تدقيق في مسألة الحديث الذي

ورد في هذه المسألة أو تأويل له بما يتفق والقرآن وربما كان مقصده بيان محاولات اليهود المستمرة للنيل من النبي صلي الله عليه وسلم بمحاولة السحر له حتي تهتز صورته أمام أصحابه وزوجاته فيفقد مصداقيته، ولكن عناية الله أحاطته ومنعت تأثير السحر فيه لأن الله حافظه وعاصمه من الناس.

٣- الشيخ الاكبر محمد مصطفي المراغي

كان ثاني تلميذ في مدرسة الإمام محمد عبده نهج نهجه وسار علي منواله في التفسير ووصل تأثيره إلي اتباع أسلوب الإمام وتلميذه رشيد رضا في التفسير، فكان تفسيره للقرآن عبارة عن دروس وأحاديث يلقيها الشيخ في شهر رمضان، بدأها بتفسير بعض آيات من القرآن الكريم من سور مختلفة، وبنظرة متأملة فيها نجدها تتعلق بسلوك الناس في الحياة، وتعظهم وتنبههم إلي ضرورة التقرب إلي الله عز وجل، كل هذا مثبت في تفسيره للقرآن الكريم الذي طبع تحت عنوان " الدروس الدينية [٢٦] وإن كانت نسبة هذا التفسير إليه متنازع عليها إذ يري البعض أنه لأخيه الشيخ أحمد مصطفي المراغي وكان من علماء الأزهر أيضا ولكن الكتاب المطبوع مدون عليه اسم الإمام المراغي شيخ الأزهر.

وبالإضافة إلي هذا فبين أيدينا كتاب له طبعته دار الهلال تحت عنوان "حديث رمضان"[٢٧] يتضمن تفسيراً لأول سورة الفرقان وكذلك الآيات التي وردت في السورة نفسها متضمنة وصفا لعباد الرحمن، ثم تفسير

(٢٦) الدروس الدينية/مطبعة الأزهر ١٣٦٤هـ

(٢٧) راجع محمد مصطفي المراغي، حديث رمضان-كتاب الهلال العدد ٢٣٨ نوفمبر ١٩٧٠

لسورة لقمان كاملة وسورة الحجرات كاملة وسورة الحديد وسورة العصر، وهو نموذج واضح الدلالة علي منهج هذه المدرسة بكاملها من تأمل عقلي لآيات القرآن الكريم رابطا معناها بقضايا المجتمع والعلم الحديث كما أنه مكتوب بأسلوب سهل قريب المنال من قارئه.

نتيجة لذلك فإن منهجه في التفسير لم يخرج عن الإطار العام لمنهج هذه المدرسة من ناحية الإقلال الشديد من المأثورات والمنقولات، وعدم الاعتماد عليها في التفسير، وكذلك البعد عن المبهمات والإسرائيليات، ولا يتطرق كثيرا إلي القضايا الفقهية، وكان رأيه أن قصر فهم القرآن علي الأسلوب القديم كان سببا في وقوف هذه الأمة عند مرحلة بعينيها وعدم تقدمها خطوة واحدة إلي الأمام.

كما نجد في أسلوبه ميلا إلي الأسلوب الفلسفي أحيانا وإلي الأسلوب الصوفي أحيانا مما يجعلنا نؤكد أن ثقافة الشيخ كانت واسعة ملمة بكافة الأفكار والمذاهب، ومن ثم لايتحرج في أخذ ما يروته منها إن دعت إليه الضرورة في تفسير آية من الآيات.

ولايجد حرجا في تفسير الآيات ببعضها، أو يوضح معني عن طريق الاستشهاد بالشعر، ولايقف عند مبهم، وحينما ورد وصف النبي صلي الله عليه وسلم بأنه مسحور في سورة الفرقان "إن تتبعون إلا رجلا مسحورا" أنكر هذا تماما - كما فعل شيخه الإمام محمد عبده - من خلال ماعرف عن النبي صلي الله عليه وسلم حتي قبل النبوة من أمانة وفطنة ورجحان عقل وحسن تدبير، ولهذا كله فلن يكون فريسة سهلة تقع في براثن السحر[٢٨].

(٢٨) المراغي/ حديث رمضان ص١٢

وفي إطار منهجه الإصلاحي اهتم بحكمة التشريع وركز علي الآيات التي تدعو إلي تطبيق الشريعة الإسلامية من منطلق غيرة عارمة علي حدود الله إذ يري فيها إصلاحا كاملا للمجتمع، ولايري أية عوائق في سبيل تطبيقها.

٤- الشيخ محمود شُلتوت

ويستمر تواصل مدرسة الإمام محمد عبده في إمام آخر للأزهر هو الشيخ محمود شلتوت الذي تولي مشيخة الأزهر كسابقه المراغي، ومما خلفه في التفسير كتاب يحتوي علي تفسير الأجزاء العشرة الأولي من القرآن، ثم تفسير بعض الآيات المختارة من سور القرآن الكريم وقد جاء تفسير هذه الآيات في دوريات وصحف أو في أحاديث إذاعية.

ولكنا سنتعرض لإنتاجه في التفسير من خلال هذا المجلد المطبوع، إذ أنه المصدر الموثوق نسبة للشيخ بين أيدينا(٢٩)، وفي الوقت نفسه فهو نموذج لتفسيره يغني عن البحث عن متناثرات، وإن كنا لانستطيع أن نغفل هذه الجهود خاصة تلك التي جمعت بعد ذلك في كتب صغيرة مثل "إلي القرآن" الذي يعد اللبنة الأولي التي تبعها جهده التفسيري هذا وكذلك كتابه "منهج القرآن في بناء المجتمع" وهو خلاصة نظرته أو أفكاره التي طرحها موسعة في تفسيره.

ويقراءة هذا الإنتاج نتبين أولا أن الشيخ عاب بعض ألوان التفسير السابقة عليه من وجهين: الأول محاولة تفسير القرآن من خلال معتقدات

(٢٩) الشيخ محمود شلتوت، تفسير الأجزاء العشرة للقرآن الكريم ط دار الشروق سنة ١٩٧٤.

العرق والمذاهب الدينية المختلفة ثم من ناحية استنباط علوم كونية من خلال آيات القرآن الكريم، وكان يري في هذا توجيها للقرآن الكريم يفقده قدسيته وجلاله.

نتيجة لهذا كله أخذ هو في تفسير القرآن بأسلوب موضوعي يحفظ للقرآن جلالة وعظمته، ويربط بينه وبين الحياة التي نحياها باعتباره دستورا يهدي الناس إلي العمل في دنياهم وما يرضي ربهم ومن ثم لن يقف عند كل الآيات بترتيبها القرآني الوارد في المصحف ولكنه سيطرح القضايا العامة التي تثيرها هذه الآيات مما جعله لايقف عند كثير من آيات القرآن الكريم، بل يتحدث في الآيات التي يمكن الإفادة منها في توجيه الناس ووعظهم إلي سلوكيات اجتماعية(٣٠) ولعل ذلك ماجعل الدكتور محمد إبراهيم الشريف يتحدث عن هذا التفسير كنموذج للاتجاه الهدائي وهو المصطلح الذي يعني اهتمام أصحابه بمحاولة هداية الناس إلي الطريق القديم عن طريق القرآن الكريم(٣١).

ومن يقرأ تفسيره لسورة الفاتحة، وخوضه في قضية البسملة يجد انحيازا عن الطريق الذي رسمه، فرغم أنه يوضح أنه لن يشغل القارئ بذكر الآراء الكثيرة في البسملة (بالمناسبة هو يسميها البسملة مرة وتارة أخري يسميها التسمية) إلا أنه يذكر هذه الآراء ضمنا ويختار من بينها رأي أستاذه الإمام محمد عبده، الذي وضح تأثره بأفكاره إلي درجة كبيرة بالرغم من أنه أحيانا يبدو معارضا لبعض آرائه وخاصة مسألة تفسير

(٣٠) شلتوت، تفسير القرآن الكريم ص١٠.

(٣١) محمد إبراهيم الشريف/ اتجاهات التجديد في التفسير للقرآن الكريم في مصر ط١ دار التراث بالقاهرة ١٩٨٢ ص٤٢١ وما بعدها.

القرآن بالعلوم، وإن كان أستاذه قد أفاد منها كما ضربنا لذلك أمثلة إلا أنه كان من أصحاب الاتجاه المضاد فرفض هذا المسلك بل سخر من أصحابه قائلا، ولسنا نستبعد إذا راجت عند الناس في يوم مانظرية دارون أن يأتي إلينا مفسرون هؤلاء فيقول إن نظرية دارون قد قال بها القرآن منذ مئات السنين (٣٢).

وحينما يتناول تفسير سورة البقرة يبدؤها بالحديث عن سبب تسمية السورة، وبالتالي يذكر قصة ذبح البقرة ومنها فهم الناس في القصص القرآني ثم يتبع ذلك بعرض لمقاصد السورة بعامة، ويقف عند الأحرف المقطعة في أوائل السور ثم يبين طوائف الناس أمام هداية القرآن ثم أصول الدين عند الله، ويقف وقفة متأملة عند آية باعتبارها واسطة العقد من السورة، كما يذكر هو؛ أي أنه لايتبع الأسلوب القديم في التفسير بل ينهج نهجا جديدا وهو: قضايا حول القرآن الكريم، يأخذ في مناقشتها مناقشة عقلية، يعرض للآراء السابقة في القضية أو الموضوع ثم يطرح رأيه هو، مما يوحي بأن الغرض الأساسي لم يكن تفسير القرآن بقدر ماكان طرحا لبعض القضايا الدينية ومحاولة إبداء الرأي فيها، كما يوحي بأن هذا الطرح لم يكن في بادئ الأمر مكتوبا، بل كان في صورة شفوية أو خطبة ألقيت في محفل ديني، وحينما فكر في كتابتها كانت هذه الصورة التي بين أيدينا، والمعنونة بأسماء السور، أي صنفت الموضوعات طبقا للسور التي تشير إليها مقدما إياها بسبب للتسمية ثم تتوارد بعد ذلك التفريعات التي يفرضها التفصيل في الحديث.

(٣٢) شلتوت: تفسير القرآن الكريم ص١٣.

وواضح أن الدكتور محمد إبراهيم الشريف كان معجبا جدا بهذه الطريقة في التفسير بالرغم من أنه يري غرابتها إذ يقول: "وقد تبدو هذه الطريقة غريبة حيث لاتقدم تفسيراً كاملا للنص القرآني فضلا عن أنها لم ترتفع فوق مستوي تمزيق النص القرآني وتفكيك ترتيبه، ولكن لنسأل أنفسنا هل من الضروري أن تنسحب قداسة النص علي التفسير نفسه حتي نحرص تمام الحرص علي ترتيبه كترتيب القرآن؟ أم أن التفسير عملية فنية أو عملية يمكن أن يتلمس من خلالها وجه الهداية القرآنية علي أي نحو كانت؟(٣٣).

ولو أخذنا تفسيره لسورة البقرة كمثال علي هذا، فإننا نظن أن القضية المحورية التي كان يتحدث فيها هي آية البر، والتي سماها هو "واسطة العقد من سورة البقرة" ولأنه كما يري أنها تتوسط هدفي السورة فكان لابد من الحديث عن هذين الهدفين وهما: توجيه الدعوة إلي بني إسرائيل ومنافشتهم فيما كانوا يثيرونه حول الرسالة المحمدية، ثم التشريع الذي اقتضاه كون المسلمين جماعة متميزة عن غيرها في عبادتها ومعاملاتهاوعاداتها، وهذه الآية "آية البر" هي التي تتوسط هذين الأمرين، فالجزء السابق عليه حديث موجه إلي بني إسرائيل، والقسم الثاني وهو الذي يليها تنتظمه مجموعة من التشريعات التي تهدف صالح المسلمين، وتتناول شتي نواحي الحياة.

وقد تكون هذه اللمحة ذكية، ولكنها ليست فاصلة،ففي ثنايا هذه التشريعات جاء ذكر بني اسرائيل أيضا مثل قصة داود وطالوت وكذلك

---

(٣٣) محمد إبراهيم الشريف / اتجاهات التجديد ص٤٣٩

ذكر الرجل الذي مر علي قرية، والمفسرون يقولون إنه عزير وهو من بني إسرئيل أيضا بل إن اليهود جعلوه ابنا لله كما حكي عنهم القرآن ثم ذكر إبراهيم وطلبه البرهان المادي علي الإعجاز الإلهي.

وربما اختار الشيخ مسألة البر لتكون واسطة العقد وجمع إليها كل الآيات التي تشير إلي البر في القرآن الكريم ليعبر بحق عن هدفه من التفسير، وهو الإصلاح والهداية، ولأن هذه الآية فعلا تعبر بصدق عن رؤية القرآن الاجتماعية، بمعني أنه ليس دينا يركز علي العبادة بقدرما تهمه الحياة الاجتماعية والتعاملات بين الناس، ولأن كثيرا من التشريعات فيها تنظيم هذه الأمور الاجتماعية بالرغم من تناول السورة لكثير من القصص كما انتشرت حتي إنها سميت باسم قصة منها (البقرة).

ولعل هذا الأسلوب في التفسير يختلف مع منهج أفراد هذه المدرسة السابقين عليه، حيث كان كل واحد منهم يتناول آية أو سورة كاملة بترتيبها القرآني ويأخذ في تفسيرها، وحينما تشير آية إلي قضية تهمه يأخذ في الحديث فيها تفصيلا، ولكننا هنا أمام أسلوب مختلف، صحيح أن مضمون الأسلوب لم يخرج كثيرا عن المضامين التي تناولها الإمام وتلميذاه رشيد رضا ومصطفي المراغي، وكان في كثير من المواضع يذكر رأي الاثنين الأولين، حتي وإن كان يخالفهما في الرأي، مما يوحي بتأثره بهما ويكفي أن منهجه ماهو إلا ثمرة لما قدماه من فكر جديد في النظر إلي القرآن الكريم، ومن هنا يبرز التمايز الفردي بين أفراد هذه المدرسة.

٥- الشيخ سيد قطب

إذا كانت طريقة الشيخ شلتوت تعد انتقالة في أسلوب مدرسة الإمام

محمد عبده في تفسير القرآن، فإننا يمكن أن نري امتدادا لها فيما استنبطه الشهيد سيد قطب من ظلال للقرآن الكريم، وحينما نقرأ العملين نشعر بتقارب شديد في الشكل ونحن نقول هنا في الشكل لأن المضمون، مهما اقترب وتأثر بعضه ببعض ابتداء بمحمد عبده وانتهاء بالشيخ الشعراوي ومرورا برشيد رضا والمراغي وشلتوت وسيد قطب، إلا أنه بالضرورة لابد من حدوث اختلاف تبعا لاختلاف طريقة تفكير كل منهم، أو طبقا لما يعرف في علم النفس الحديث باسم الفروق الفردية التي تميز كل فرد عن الآخر.

تتشابه طريقة سيد قطب إلي حد كبير مع طريقة شلتوت فهو لايتناول السورة من بدايتها إلي نهايتها بالتفسير، ولكنه يبدأ بعرض مقدمة عامة لكل سورة تشتمل علي الخطوط العريضة التي تنتظمها الآيات متضمنة النقاط التالية:

أ- السورة مكية أم مدنية.

ب- أسباب نزولها.

ج- اكتمال آياتها.

د - توضيح لأهم الأحكام والموضوعات التي تضمنتها السورة.

وبعد ذلك يفصل القول في كل حكم أو كل موضوع، فيذكر الآيات التي تشير إليه، ويعود مرة ثانية إلي ذكر مكان نزول هذه الآيات هل هي مكية أم مدنية؟ ثم يتعرض للأحداث التي كانت سببا في نزولها، وما يمكن أن نستفيده من هذه الآيات وإذا كانت هذه الآيات تشير إلي قضية من القضايا التي عني نفسه بها يفصل فيها القول، ثم يعرض بعد ذلك للتصور

العام للسورة، وينطلق منه إلي الحديث عن التصور الكلي لمفهوم الدين وغايته ومنهج التشريع الإسلامي وما يجليه من منافع وخير للبشرية.

وهنا يجب ذكر ملاحظة مهمة أنه بالرغم من ذكر أسباب النزول فإننا نلاحظ عدم إفادته منهما في تفسيره إلا قبلا كما لم يجر ذكراً لمسألة المكي والمدني عند الانغماس في تفسير الآيات مع أن هذا هو موضعها الحقيقي، ويبدو أنه حينما كان يطلق العنان لخياله لتصور الظلال التي تنبعث من الآيات كان يلقي بكل ذلك جانبا حتي يعرض تصوره هو فقد كان أفقه واسعا نتيجة ثقافته الواسعة، كما كان حماسه لفكرته شديدا حتي أنه لم يكن يمل تكرارها عندما يتعرض لأي آية تشير إلي المقصد الذي يريد الحديث فيه.

لكن الاختلاف بين الشيخين يتجلي في نقطتين، الأولي شكلية، حيث أكمل سيد قطب تصوره عن القرآن الكريم كاملا ولم يقف عند جزء معين فتفسيره "في ظلال القرآن" تام بتمام القرآن الكريم، ورغم ذلك فلم يذكر صراحة أنه تفسير للقرآن الكريم، كما فعل الشيخ شلتوت الذي أطلق عنوان التفسير علي كتابه رغم أن القارئ له حين يأخذ في قراءة الكتاب فلن يجد تفسيراً تقليديا بل يجد رؤية شخصية في فهم القرآن الكريم أشبه بأن تكون بحوثا متعددة في النص القرآني، لكن سيد قطب أخذ بالحيطة والحذر فلم يطلق علي كتابة"تفسير" بل أطلق عليه "في ظلال القرآن".

ومن هنا فإننا يمكن أن نعد الرجل صادقا في مدخله إلي القرآن لأنه بوضوح شديد يقول : إنه سيركز علي ظلال الآيات القرآنية ، أي أنه سيناقش القضايا التي يريد مناقشتها تحت راية القرآن الكريم ، ومن ثم فإن تفسيره هنا يعد تدعيما لموقفه ومنهجه في الحياة ، ذلك المنهج

الإصلاحي الذي يري أن القرآن هو الأساس الذي يمكن به إحكام حركة الحياة ، إن القرآن الكريم كما يذكر هو نفسه " يحتوي علي القصة ومشاهد القيامة ، والنماذج الإنسانية والمنطق الوجداني والحالات النفسية وتشخيص المعاني الذهنية ، وتمثيل بعض الوقائع التي عاصرت الدعوة المحمدية والتشريع والجدل وقليل من الأغراض الأخري التي تقتضي طريقة التقدير الذهني المجرد "(٣٤)

ولننظر إلي عبارة " تقتضي طريقة التقدير الذهني المجرد " والتي تعبر بصدق عن المحور الأساسي لفكره في هذا الكتاب ، والتي أراد بها أن يعفي نفسه من قيود التفسير المتعارف عليها التي تعوق التحامه بالقرآن فلا يحاسب من النقاد والدارسين بضوابط التفسير ، بل أراد أن يقول من البداية إنه سيقدم تصوره وانطباعه هو من خلال قراءته للنص القرآني (٣٥)

ومما ساعد الشيخ سيد قطب علي دخوله للقرآن من هذا الباب تلك الثقافة الواسعة التي حظي بها ، فقد تخرج في دار العلوم وسافر في بعثة إلي أمريكا ليحصل علي درجة الدكتوراة ، وهناك نهل من مناهل الثقافة ما شاء له الله ، وتمكن هو من حمله ، ولم يحصل علي درجة الدكتوراه كما هال الشيخ أن يجد في سلوكيات الناس في هذا المجتمع المتحرر نماذج إنسانية وسلوكا حرا ، فأخذ يتأمل هذا الوضع العجيب بعد الانبهار به ،

---

(٣٤) الشيخ سيد قطب/ في ظلال القرآن ط دار الشروق القاهرة سنة ١٩٧٥ جـ١.

(٣٥) راجع الشريف/ اتجاهات التجديد ص٥٧.

ولولا عناية الله له لخرج عن اعتقاده ، لكن وحمة الله به تجلت في لحظات من التأمل ، أيمكن لهذا المجتمع الذي يعيش بلا دين أن يتقدم ويسلك هذا السلوك وراح يقارن بين هذا المجتمع الغربي ، ومجتمع وطنه المصري العربي الإسلامي .

ولابد للعقلية الواعية - وهذا شأن سيد قطب - أن تستنتج وتحلل ، وخاصة من خلال الصفة الأخيرة للمجتمع وهي الإسلام ، فراح يسأل نفسه ألا يستطيع الإسلام أن يكوّن هذا المجتمع الواعي مع ضوابطه الأخلاقية والإنسانية ، وكانت الإجابة الحتمية بالإيجاب ، ومنها تكونت رؤية الشيخ الدينية ، حيث وجد أن السبب في تخلف المسلمين هو بعدهم عن روح القرآن الكريم وسيطرة أنظمة لا هي واعية بالنظم الغربية التي تقلدها، ولا بالقرآن الذي هو دستورها .

ومن ثم راح سيد قطب يبحث عن تصور ديني لإصلاح هذا المجتمع بعد أن شعر بأن الدين الاسلامي بقرآنه وسنته ليس نصوصا صماء تحفظ ولا تفهم ، ولا هي مجرد نصوص للعبادة ، ولا ينفصل الدين عن الحياة ، بل إنه يستغرقها استغراقا كليا ، فلم يترك القرآن شيئا من أمور الحياة الأساسية في صورتها الكلية إلا وأدلي فيها بدلوه وبين فيها رؤيته ومنهجه.

ولم يكتف سيد قطب بهذا بل راح يرسم تصوره الديني لإقامة هذا المجتع في عدة كتب لعل أهمها علي الإطلاق ثلاثة هي : العدالة الاجتماعية في الإسلام ، ومعالم في الطريق ، وفي ظلال القرآن الكريم ، وكلها أنهار تأخذ من بعضها وتصب في بعضها ، أي أنها حلقات متواصلة لطرح هذه الرؤية الدينية الشاملة للمجتمع ، ولما لم يكن هناك

امل في الإصلاح بطريقة تلقائية ، وكنتاج للدعوة فقط نادي سيد قطب بالجهاد الديني مما سبب له الكثير من المتاعب التي انتهت بسجنه وبذل روحه فداء لهذا الدين وهذه الدعوة التي كرس جزءا كبيرا من حياته من أجلها .

أما عن منهجه في الظلال ، فقد كان مزيجا من التفسير القديم والحديث تتضح فيه استفادته من كل ما سبقه سواء علي مستوي المناهج القديمة في التفسير وخاصة في جانبها النقلي والمأثور ، والمناهج الحديثة وخاصة المنهج الاجتماعي الذي يعد امتدادا له .

فهو يبدأ بظلاله عن السورة ككل ملخصا أهم ما تتضمنه من موضوعات وهي واحدة من آثار الشيخ شلتوت ثم يتحدث عن أسباب النزول، وهو تأثر بالمنهج القديم ، مما يجعله يورد ما يرتضيه من المأثورات في هذا السبيل ، وعندما يتناول الآيات بالتفسير نشعر بأثر محمد عبده ، وليس معني هذا أنه كان مجرد جامع لهذه الآثار فقط ، بل إنه يريد أن يقدم التصورات السابقة لتكون بمثابة القاعدة التي ينطلق منها إلي تقديم تصوره هو.

وبالرغم من ذلك فإنه أحيانا ما وقف عند الآراء القديمة موقف المؤيد لها، وذلك مثل قضية السحر بعامة ، وسحر النبي صلي الله عليه وسلم بخاصة ، فقد أقر كل ذلك ، وبين أنه وقع بالفعل مادامت النصوص والآثار الصحيحة قد قالت بذلك ، ومع أن هذا يبدو في ظاهره متعارضا مع هذه الروح الثورية التجديدية التي يريد أن يبثها في نفوس المسلمين من خلال تصوره للقرآن ، وأن هذه المسألة التي استغرق فيها الناس وشجعها الحكام الأقدمون ليظلوا مسيطرين علي الناس ، فإننا نري أن هذا التأييد نوع من

الالتزام بالمنهج الذي التزم نفسه به وهو المنهج السني، فما دام الأمر قد ثبت بالسنة الصحيحة فلا مجال للجدال فيه.

وهذا أمر من الأمور التي اختلف فيها مع الإمام محمد عبده فقد أدت روح الثورة والتجديد عند الإمام إلي إنكار هذه المسألة أو علي أقل تقدير الوقوف فيها موقف التحليل العقلي الذي ينتهي برفض المسألة إلا أن ثورية سيد قطب ظلت ملتزمة محكومة بضوابط نقلية وثق من صحتها فالتزم بها.

ويرتبط بالنقطة السابقة نقطتان الأولى: موقفه من الحسد، ويعد امتدادا طبيعيا لموقفه من السحر، فما دام قد أقر بوقوع الإنسان فريسة للخيالات والأوهام فمن المنطقى أن يعتقد فى الحسد، ويرى أنه ناتج من نفس خبيثة، ونحن نعجب لهذا فكيف يجعل الله للنفس الخبيثة سلطانا على النفس الطيبة، وإذا كان من الممكن الإجابة على هذا التساؤل بموقف الشيطان وترك الله له مع توعده بأن يقعد للناس الصراط المستقيم، فإن الرد على ذلك يكمن في التفريق بين الطبيعتين، ثم إن الشيطان لا يحسد نظريا فيؤثر حسده - إنما هذا الأمر شبيه السحر تماما - بل إنه يسعى لإفساد البشر الذين يسيطر عليهم أى أن حسده هذا مقرون بالفعل، وهذا النوع من الحسد هو الذى أقره القرآن كما يتضح من سورة الفلق، بل يتضح أكثر من خلال قوله تعالى فى سورة البقرة (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق)(٣٦)، وهنا يرتبط التمنى بالفعل، وقد وقع ما تنبأ به القرآن فعلا حين أخذ أهل الكتاب فى طرح إسرائيلياتهم حول القرآن وفي أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم مستخدمين كل إمكانياتهم العقلية وذكائهم الخارق فى صبغ ما يقرلـــون

---

(٣٦) البقرة / ١٠٩

بصبغه مقبوله لدى جميع المسلمين حتى إنهم يدافعون عنها دفاعا مستميتا مع أن بعضها واضح التعارض مع نصوص القرآن الكريم، وهو المصدر الذى لم تستطع أيدي العابثين أن تنال منه فسخروا جهدهم للنيل من السنة النبوية المطهرة، وبهذا يكونون قد لجأوا إلى القرآن أيضا من باب خلفى لأنهم يعرفون أن السنة هى المصدر الثانى للتشريع، وأنها أهم مصدر من مصادر فهم القرآن فإن أحدثوا بينها وبينه تعارضا نجحوا فى خلخلة اعتقاد الناس فيها معاً، وهيهات لهم أن ينالوا ما يريدون، فقد وقف المخلصون والمحققون لهم بالمرصاد، وكشفوا ألاعيبهم، وإلا ما سمعنا نحن بالوضع والإسرائيليات.

ولكن الأمر لا يسلم من تسرب خبر، أو دس على حديث صحيح السند والرواية. باضافة جملة أو حذف كلمة وقد ذكر هذا الدكتور أحمد عمر هاشم فى كتابه "السنة النبوية وعلومها" فى فصل عقده لشرح أسباب الوضع ومظاهره فى الحديث النبوى الشريف، وبين أن هذا كان من الأوجه التى حدث فيها الوضع خاصة وأن مسألة إعمال العقل فى المرويات قديما كان يشوبها كثير من الحذر النابع من عمق الإيمان خوفاً من الوقوع فى محظور إنكار أمر قد تصح نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلمُ أظن أنها الروح التى ما زالت قائمة عند كثير من المخلصين المنتمين إلى هذا المنهج مثل الشيخ سيد قطب.

وهذا أيضا يقودنا إلى النقطة الثانية، وهى الإسرائيليات فقد أخذ منها الشيخ سيد قطب، وضمنها كتابه، وبالرغم من أن الحذر الشديد مطلوب فى التعامل مع الإسرائيليات إلا أنه أخذ منها، وبالرغم أيضا من رأينا فى أنها ليست لها ضرورة فى هذا التصور الذى التزم به الشيخ إلا أنه ربما جاء بها

وتحدث فيها بالتفصيل ليعطى نموذجاً للصورة المرفوضة من الدين أو من الله للمجتمع، وربما أراد أن يفيد من هذا القصص الإسرائيلى فى توضيح المقارنة بين جاهلية المجتمع الذى يريد تغييره، وبين هذا الأسلوب الذى عاش به بنو إسرائيل وكان سببا فى غضب الله عليهم.

ولسنا مع الدكتور محمد إبراهيم الشريف فى رأيه الذى ردده كثيراً بأن هذا التفسير يعد انطباعاً ذاتيا تفاعلت فيه الذات مع النص (٣٧). بل إنه تصور نابع من رؤية متكاملة عند صاحبها محكومة بضوابطه وأفهامه، وإلا لما أخذ مما استعان به من مرويات ومأثورات، مما يؤكد أن هناك تصوراً للقرآن الكريم ظل يعتمل فى هذه النفس الحساسة مدة طويلة حتى اكتملت له مقوماته فطرحها في الظلال، ويدعم هذا ما عرفناه من أن الشيخ كتبه وهو فى السجن أي فى السنين الأخيرة من حياته، ومعنى هذا أنه قد اكتملت له الرؤية التى دخل بها إلى عالم القرآن.

والدليل أيضا على ذلك استخداماته المتكررة لمصطلح (تصور) التى لا يكاد يخلومنها موضع فى التفسير بكل مشتقات هذا التصور من تصوير، وصورة وكان قد سبقه وطرحه فى عدة كتب له قبل تأليفه للظلال مثل : "التصوير الفنى فى القرآن" و "مشاهد القيامة فى القرآن" بل وفى محاضرته التى طبعتها دار الشروق بعنوان "مهمة الشاعر فى الحياة "، ولعل هذا المصطلح يمكن أن نعده بلغة أهل النقد الأدبى الحديث المحور أو النظام الذى ينتظم النص، فهو يأتى صراحة، ويأتى تطبيقا حينما يأخذ الشيخ فى تفسير بعض آيات تصور مشهداً دنيويا أو أخرويا، وقد اعتمد فى مقارنته بين ما نحن فيه، وما كان عليه أهل الجاهلية في كل ديانة أمة على تصوير

(٣٧) الشريف/ اتجاهات التجديد ص٥٦٩-٥٧٥.

القرآن لهم، وقد كان يتعرض لكثير من القصص القرآني للأمم السابقة بهذا المفهوم وهذا التصور.

وفي النهاية فإننا نستطيع أن نقول إن كتاب "في ظلال القرآن الكريم" هو تفسير من نوع فريد، وهو ما يمكن أن يطلق عليه حقا تفسير بالرأي لأنه نابع من روية خاصة، صحيح أنها محكومة بضوابط ومستفيدة من النقل ومما أثر عن كثير من المفسرين السابقين، ولكنها في النهاية رؤية خاصة، وبالرغم من خصوصيتها إلا أنها كانت معبرة عما يعتمل في نفوس كثيرين من المخلصين لدينهم.

ونستطيع أن نقول أيضا إنه يعد جماع ما قدمه مفسرو المدرسة الاجتماعية السابقة فجمع بين روح الإمام محمد عبده التجديدية والتنويرية، وروح السيد رشيد رضا في ضبط هذه الروح خاصة وأن الاثنين يتميزان بأنهما يمتلكان ملكة التأليف ولا أدل على ذلك من التراث الضخم الذي تركه كلاهما أو أنه جمع بين مميزات الشفاهية والكتابية لهذه المدرسة العظيمة التي سنظل ندين لها بالكثير مهما اتفقنا معها أو اختلفنا مع بعض أراء زعمائها.

ولا شك أن الشيخ أفاد من كل من سبقوه حتى وإن لم يشر إلى ذلك بل أفاد من روح العصر، فبالرغم من دعوته إلى إعادة المجتمع الإسلامي القديم شكلاً ومضمونا إلا أنه لم ينكر على العصر الذي نعيشه خاصيته المميزة له، وهي روح التقدم التكنولوجي بل أفاد منها في بعض الأحيان عند تعرضه بالتفسير لبعض الآيات الكونية في القرآن الكريم، ولم يبرز هذا الجانب بوضوح لأن الصوت الأعلى كان لصوت الإصلاح الديني والاجتماعي ولصورة المجتمع الإسلامي المثالي الذي يريده أن يتحقق عن طريق القرآن الكريم.

٦- الشيخ محمد متولى الشعراوى

وتكتمل حلقة هذا اللون فى التفسير بالأستاذ محمد متولي الشعراوى الذى لم يخرج كثيراً عن إطار هذه المدرسة، وهو تفسير القرآن عن طريق إلقاء دروس شفوية فى المسجد، وان كانت الصورة هنا مختلفة من طريقين: الأول: أن دروس الشيخ الشعراوى تعدت أحاديث رمضان، صحيح أنها بدأت هكذا فى شهر رمضان، ولكنها تجاوزت ذلك الإطار لتصبح دروساً منتظمة كل أسبوع علي مدار السنة فإذا ما جاء رمضان عادت إلى طبيعتها القديمة أحاديث يومية،

الثانى: أنها عند الشعراوى مرتبة حسب ترتيب بالقرآن الكريم رغم أنها بدأت كما بدأت التجارب السابقة فى تفسير سور قصيرة أو متوسطة الطول بعينها يستفاد منها فائدة وعظية أو اجتماعية، ولكنها سرعان ما تحولت إلى تفسير منظم للقرآن الكريم، يقف عند كل آية من آياته بحسب ترتيب المصحف، وأحيانا يقف عند الكلمات إن استدعت وقفة يرى الرجل فيها رؤية غير تقليدية مما يعطيها شكل الإشراقة العلمية، وهى مستمرة حتي الآن، ولعل الله يدخر للرجل من العمر ما يمكنه من إتمام تفسير القرآن بهذه الصورة البسيطة والجميلة فى آن واحد، والتى تذكرنا بما قيل عن مؤسس هذه المدرسة وزعيمها الإمام محمد عبده الذى قال هو نفسه عن منهجه إنه كان يعطى السامعين على قدرهم، ولكن الشيخ الشعراوى يلتزم أسلوباً واحداً فى كل دروسه التفسيرية، أسلوباً يجمع بين البلاغة اللغوية والفهم الواعى ليس لمستوى سامعيه من الجالسين إليه ، بل أيضا يضع فى ذهنه الذى يشاهدونه فى بيوتهم.

وهناك ملاحظة هى أن الرجل رغم أنه يقوم بتفسير للقرآن الكريم بصورة

واضحة لا تبقبل الشك إلا أنه يطلق عليها مصطلح "خواطر" ولا ندرى ماذا يقصد؟ إن المفهوم عن الخواطر أنه ذكريات أو أشياء من مخزون ذاكرة الإنسان يستدعيها موقف معين باعث على إثارتها، ويمكن لهذه الخواطر أن تكون بعيدة كل البعد عن الموضوع الذى يستدعيها اللهم إلا بعض علاقات التشابه أو تلازم جزئية معينة فى الموقف الآتى لصورة كاملة حدثت فى وقت ماض واختزنتها الذاكرة، أما الصورة هنا فهى فى حقيقتها مختلفة فليست خواطر تتوارد فعلاً حول النص، بل إنه تفسير بالمعنى الدقيق للكلمة صحيح أنه تفسير شفوى، ولكنه ملتزم بنص الآية ويتضمن كل أشكال التفسير القديمة والحديثة، وبالرغم من أن الفارق بين التفسير المكتوب والشفوى كبير إذ إن الأول (المكتوب) يمكن صاحبه من التأمل وإعادة النظر والمراجعة لما يكتب، أما الشفوى فهو مرتجل ويعتمد على قدرة المفسر على الفهم والإلقاء والتأثير فى آن واحد، وقد يخرج من الإطار المرسوم فيعود إلى آية سبق تفسيرها ويفصل القول فيها، وهو أشبه ما يكون سياحة فى القرآن الكريم، والمعايير فى التفسير الشفوى لا يمكن أن تنضبط لانه من وحى اللحظة، ومن ثم يكون خاضعا لحالة العقل وإشراقه فى اللحظة نفسها.

أما عن أسلوب الشعراوى فى التفسير فإنه أسلوب بسيط حيث يبدأ الرجل فى قراءة الآية من الصحف، ثم يأخذ فى تفسيرها حسب ما يمن الله عليه به من الفهم والعلم، وأحيانا يستغرق وقت الحلقة كلها ومدتها أكثر من نصف ساعة (نحو أربعين دقيقة) فى تفسير آية أو آيتين، وأحيانا أخرى يفسر عددا كبيرا من الآيات، ألم نقل إن التفسير الشفوى يعتمد علي اللحظة الآتية، ومقدار الحالة الذهنية التى يكون عليها المفسر، ثم موضوع الآية، فان كان له علاقة بأحداث حالية طالت المسألة، كما أن ذلك يحدث إن

كانت هناك قصة وراء الآية فيأخذ في سرد هذه القصة حتى يستخرج منها الدلالات الاجتماعية والاخلاقية التي يمكن أن يعظ بهامستمعيه.

ومن الطبيعي أن يقودنا حديثنا عن الأسلوب الذى يتبعه الرجل فى تفسيره إلى المنهج، فهو منهج يتفق ومنهج المدرسة الاجتماعية إذ يتضح بجلاء تركيز الرجل على كل القضايا التى تفيد المجتمع، ولذلك فهو يطيل فى تفسير الآيات التى لها صلة بقضية من قضايا المجتمع مطروحة للنقاش فى وقت تفسيره لها، وفى سبيل ذلك يستعين بكل الوسائل المتاحة لتبسيط المسألة وتوضيحها سواء كانت وسائل لغوية أى يحلل الكلمة تحليلا لغويا، وأن دعت الضرورة يسلك منهج اللغويين والنحاة فى الاستشهاد بروايات وأبيات من الشعر، أو من الآثار القديمة التى تزيد ما يذهب إليه. وأحيانا يستعين علي ذلك بأيات من القرآن نفسه، أى يفسر القرآن بالقرآن، وهو مستغرق فى هذه النزعة، ولو أن قارئا غير واع بحقيقة الأمر وهدفه، ولولا ما تضمنه التفسير من جهد للرجل لاطلقنا على تفسيره "التفسير القرآني للقرآن" لأنه كثيراً ما يعتمد على الآيات فى فهم بعضها البعض ولا يشغل باله إن كان قد تحدث فى هذه الآية من قبل أم لا، ألم نقل إنها خاصية من خصائص التفسير الشفوى؟

ويستعين كذلك بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وبأقوال المفسرين القدماء، أما استعانته بالأحاديث فمو سعة لأنه يراها ضرورية ومهمة فى تنظيم ما يراه من آراء سواء حول النص أو حول القضية التى دعته الآية إلى الحديث فيها، كما أنه لا يتحرج من الاستعانة بالشعر العربى وله فيه باع طويل، وكذلك المأثورات اللغوية، بل والقصص والحكايات سواء كانت من المأثور عند العرب. أو من مخزون حياته هو ليدعم بها رأيا يراه أو فكرة يريد

أن يقنع سامعيه بها، وأحيانا تكون هذه الحكايات أقرب إلى الفكاهات منها إلى القصص فتحدث نوعاً من الترويح عن السامع وفى الوقت نفسه تقرب إليه المعنى المراد بصورة مبسطة جداً.

يضاف الى ذلك نظرته للعلم، فهو دائم الشرح والتفسير لأيات القرآن الكريم بالنماذج العلمية وحين يريد توضيح مفهوم للآية، وتكون آية متضمنة إشارة علمية، أو حتى مسألة عقائدية، فانه يأخذ بها حتى وإن لم يستفد بها.

وهو معجب بكل ما هو جديد، ومن ثم فانه كثيرا ما يطرح جديدا يجد دائما قبولا واستحسانا من المستمعين له، يشجعه على الخوض فى تفاصيل المسألة أكثر ويحاول أن يخرج إلى تفريعات أشبه بأن تكون كلامية متأثرة بعلماء الكلام والمعتزلة مع أنه لا ينتمى إلى أى منهما، ولكن طبيعة الموقف والقضية التى يناقشها تفرض هذا الأمر.

ولكن الشيخ الشعراوى أحيانا - ونتيجة لاعجابه باشراقاته وتأثيرها فى الناس - يبدى وجهة نظر قد تكون مخالفة للمألوف، وتمثل لذلك بمحاولته إثبات أن آذر ليس أبا إبراهيم، ويستدل على وجهة نظره بما هو شائع لدى العامة حتى الريفيين فقط من قولهم للعم "أبى فلان" وبالتالى فان القرآن إذا كان قد قال: وإذ قال إبراهيم لأبيه آذر "أى أن ذكر الاسم دلالة على بعد النسب وعدم ذكر الاسم يوحى بأن هذا قريب ولصيق به فالعارف لا يعرف.

ونسى الشيخ أن القرآن عاد وذكرها بدون ذكر اسم آذر مما يدل على صدق مقولته من أن آذر هو أبو إبراهيم فقال الله تعالى: "إذ قال لأبيه

ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ، وهنا قال: لأبيه وأكد على أبوته بيا "أبت" وهذه امثلة ترجح أن آذر هو أبو إبراهيم.

والحق أن الشيخ الشعراوى ليس وحده في هذا المعنى فكثير من المفسرين سبقه في القول بهذا الرأى من منطلق تطهير الأنبياء ، أن يكون من سلالة مشركين، ويستندون فى ذلك إلى حديث رسول الله صلى عليه وسلم " فأنا خيار من خيار" ومن بين هذه السلالة إبراهيم، ولكن نص حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ركز على الأنبياء ، وأنه اصطفاهم من بين خلقه ، وبالتالى فان معنى الاصطفاء الانتقاء، وهذا يعنى أن انتقاء الله لأنبيائه يكون من بين أناس عاديين كما أن الله وصف أنبياءه بأنهم العباد المخلصين". وهم الذين استثناهم الشيطان من تأثيره حينما طلب الإنظار من الله بقوله: " إلا عبادك منهم المخلصين".

والحق أننا لا نرى ضرراً فى أن يخرج الأنبياء من هؤلاء الآباء الذين خرجوا من ظهورهم فهم بمثابة وعاء ينتقل فيه نور النبوة، ومهما قلنا فى تنزيههم فاننا لا نجرؤ ولا يملك أحد أن يقول إنهم كانوا مؤمنين ولنضرب مثلا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فبالرغم من كل ما كان يتمتع به أبوه عبد الله من صفات وأخلاق حميدة جعلته زين شباب قريش إلا أن أحداً من الدارسين أو الباحثين لا يملك وصفه بأنه مؤمن مع تمتعه الكامل بأخلاق المؤمنين، لأنه فى الحقيقة التاريخية كان على دين قومه وأسلوبهم فى تعظيم الأصنام التى كانت حول الكعبة. والدليل على ذلك ما يروونه في قصة فدائه، وكيف ضربوا القداح حتى خرج السهم على الإبل، ونظن أن القداح هى نوع من الأنصاب والأزلام التى ورد تحريمها مع الخمر.

ثم ماذا نقول فى قوله تعالى على لسان نبيه إبراهيم: (واغفر لأبى إنه

كان من الضالين) ؟ هل بعد ذلك مجال للمناقشة ؟

هناك نقطة أخرى فى منهج الشيخ وهى استعانته ببعض الإسرائيليات طالما أن لها هدفاً وعظيا ولا تؤثر فى العقيدة وقد سبقه إلى ذلك كثير من المفسرين الذين لم يتحرجوا فى الأخذ بها، وهى سمة غالبة على تفسير أهل السنة.

بقيت نقطة أخيرة وهى أن تفسير الشعراوى يجمع بين مميزات وخصائص كل من التفسير بالمنقول والتفسير بالرأى فحين يستدعى الأمر إيراد مأثور فى تفسير الآية يأخذ به سواء كان هذا المأثور مرويا عن رسول الله صلى عليه وسلم أو عن الصحابة أو عن أحد الصالحين أو عن المفسرين، وحينما تستدعى الضرورة مناقشة عقلية للآية لتوضيحها أو الرد على قول آخر مخالف لما يراه نراه يدلى برأيه فيها.

ومن حسن حظ الشيخ ومستمعيه والقراء أيضا أن اهتمت دار أخبار اليوم بطباعة هذا التفسير وهو فضل من الله حتى يبقى له أثر مكتوب، فالأثر المكتوب أبقى من الشفوى لأن أحدا لا يضمن العبث أو الإهمال بأشرطة التسجيل بحكم الزمن، كما أن الطباعة أقل تكلفة، وأوسع فرصة للاقتناء من التسجيلات بالرغم من ظهور الأجهزة الحديثة، ونكرر دعاءنا للشيخ بأن يمد الله فى عمره حتى يكمل هذا التفسير الطيب النافع.

وفى النهاية يثور تساؤل: هل يتفق منهج الشعراوى مع المدرسة الاجتماعية بصفة عامة؟ أم يتفق مع منهج كل من شلتوت وسيد قطب خاصة؟ أم هناك ملامح أتفاق وملامح اختلاف بينها جميعا؟

والواقع أن الاختلافات الشكلية بين التفسيرات الثلاثة ظاهرة من

النظرة الأولى، وقد يرجع هذا الاختلاف إلى طبيعة العمل فقد قصد الاثنان السابقان شلتوت وقطب إلى طبع كتبهما، والتأليف يتيح لصاحبه فرصة التأمل والمراجعة، والتحليل المتأني الذى يميل بطبيعته إلى فكر المفسر الذى يعتنقه، ولذلك وجدناهما يبدآن تفسير السورة أو الآية بطرح القضايا وأحيانا التعمق فيها والتمهيد لها، ويركز شلتوت على هذه الناحية ويلتقط بعد ذلك بعض الآيات من السورة وهى الآيات التي يرى أن لها ارتباطا بما سبق ذكره في التحليل. أما الشيخ سيد قطب فقد كان يتبع تقديمه هذا بتفسير لمعظم آيات السورة ولا يترك إلا القليل، وهى مسألة تحتاج إلى دراسة مستقلة لكل منهما لاكتشاف أسباب التركيز على هذه الآيات وترك الباقى، فقد نخرج بنتيجة أخرى أو رؤية نقدية تفيد فى فهم منهج الرجل، سواء بالقبول أو بموقف آخر غير ذلك إذا تتبعنا الآيات التى لم يفسرها بالفهم الدقيق.

أما عملية التفسير الشعوى فلا تتيح ذلك، وإنما تذوب أفكار الشيخ التى يمكنه طرحها قبل التحليل في كلامه فى التفسير، وكما سبق أن قلنا فان انطباع المستمعين أمامه أثناء تلقيهم لتفسيره يفرض نفسه علي المفسر، فقد تنتج أفاقا أخرى أمامه. فيخوض فيها، وبالتالى تجد لها تأثيرا مباشرا على عملية التفسير، وهذا ما يميز التفسير الشفوى الذى يتسم بسمة الاسترسال عن التفسير المكتوب المحكوم بالضوابط والمراجعة.

أما من ناحية المضمون فبالرغم من تلاقى كثير من الافكار عند الثلاثة مع بعضهم الا أنها تخرج فى ثوب ملتهب عند شلتوت وقطب، وتخرج هادئة عند الشعراوى، وقد يكون للتأخر الزمنى للشعراوى دورا فى هذه المسألة، فها هو قد رأى نتيجة التجربتين السابقتين، ولذلك فهو يفيد منها ويبنى عليها أسلوبا وطريقته فى التفسير، مع ملاحظة عدم اغفال أهمية التأثير والتأثر.

ونستطيع القول إن انتماء سيد قطب والشعراوي إلى جماعة الإخوان المسلمين كان له أثر واضح في تفسيرهما، رغم أنهما يمثلان فرعين مختلفين داخل الجماعة، فسيد قطب يمثل الجناح الذي يرى في ضرورة ارتباط القوة بالافكار من أجل تنفيذها، أما الشعراوي فيمكن أن نعده امتداداً للشيخ حسن البنا الإمام الأول للجماعة بكل هدوئه وميله إلى نشر أفكار الجماعة عن طريق الوعظ فقط، ومن ثم فلا داعي لاستخدام القوة في نشر الافكار.

ولا يقتصر إنتاج الشعراوي علي التفسير الشفوي الذي يقدمه، بل ظهرت له كتب تعالج قضايا أخرى مثل القضاء والقدر، ومعجزة الاسراء والمعراج، ومعجزة القرآن ومشاهد يوم القيامة. ورغم انها أحاديث في قضايا محددة الا انها لا تخرج عن المنهج المعروف للشيخ في التفسير. فمعظمها يتناول آيات من القرآن الكريم حول الظاهرة موضوع الكتاب. وأحيانا تقرأ للشعراوي وتشعر وكأنه يحدثك، ومن هنا فاننا يمكن أن نقول إنها لا تبعد عن أسلوبه الذي ارتضاه لنفسه اسلوب الدعوة إلى الإصلاح وفيها يكون تأثير الحديث أكثر من تأثير الكتابة لأن الاتصال مباشر بين المرسل والمستقبل لهذا الكلام.

سمات وملامح عامة حول هذه المدرسة

وننتهي في النهاية إلى سمات وملامح عامة لهذه المدرسة بعد استعراضنا لخصائص كل منهج على حده وهي:

أولا: كان أعضاء هذه المدرسة يركزون على النص القرآن نفسه، فلا يلجأون إلى كتب سابقة في التفسير يقرءونها، ولا ينطلقون من مفسر بعينه

نـيـقعـون تحت تأثير مذهبي أو فكره، وإنما كان جل همهم طرح تصور جديد للنص القرآن، ولا يعنى هذا انطلاقهم من فراغ وعدم قراءتهم لما سبق، وإلا عد ذلك ضربا من الوهم بل انهم أفادوا منه فى تصورهم الخاص.

ثانيا: كما تبين لنا من استعراض هذه الجهود مايلي:

أ) بداية التفسير متأخرا أى فى مراحل متأخرة من عمر المفسر.

ب) التمهيد للتفسير بالحديث حول بعض السور القصيرة، والآيات المختارة من سور طويلة، وهو السور والايات التى تحمل دلالات ترتبط بما يثور فى عصر المفسر وحوله من قضايا اجتماعية وسياسية.

جـ) ركز بعض أعضاء هذه المدرسة حديثهم حول النواحى الاجتماعية وقصر حديثه عليها بينما خلط البعض الاخر هذه الرؤى الاجتماعية برؤية سياسية، وهذا واضح تماما فى تفسير الشيخ سيد قطب، وفى أفكاره داخل كتبه.

ثانيا: لم يلجأوا فى تفسيرهم - حينما كانت تدعوهم الحاجة - إلى كل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، بل استندوا فقط الى ما صح منها وما لا يثير ريبة أو تقول وكذلك استندوا إلى أقوال بعض الصحابة والتابعين مما يقبله الفهم والعقل السليم، ومن ثم لم نجدهم يلجأون إلى الاسرائيليات فى التفسير وكذلك الى الأحاديث الضعيفة أو المرفوعة بل إن الشيخ محمد عبده يرى أن لا يؤخذ بأحاديث الاحاد فى الأحكام الفقهية حتى لا يكون هناك نقطة ضعف فى الحكم.

ثالثا: ونتيجة للموقفين السابقين لم يتعرض علماء هذه المدرسة

وشيرخها الى المبهمات والغيبات فى القرآن إلا فيما يخبر به القرآن بوضوح دون حاجة إلى التأويل الذى قد يخرج النص عن إطاره وربما اعتمدوا بأن العقل قد لا يسعفهم فى مثل هذه الامور الخارجة عن نطاقه لأنها من نطاق أفعال الله الخارقة التى لا يستطيع العقل أن يجد لها تبريرا.

رابعا : نهجت هذه المدرسة منهجا أدبيا واجتماعيا فى تفسير القرآن، فكما كشفت عن بلاغة القرآن وأساليبه الادبية، ركزت على تناوله للقضايا الاجتماعية، ومحاولته إرساء قواعد أخلاقية واجتماعية للمجتمع الإسلامى.

خامسا : أنهم حاولوا جميعا فهم المعجزات فهما عقليا. وقد خرجت تأويلاتهم وتحليلاتهم بها الى حد أنكره السلفيون، ولكنه كان تخريجا عقليا ومع هذا فإن هذه النقطة كانت اختلاف بينهم من مدع فى محاولة التحليل العقلى الذى يشبه الانكار. والتحليل العقلى المؤيد للمعجزة

د) هناك تأثير كبير للظروف السياسية والاجتماعية التى يعيشها المفسر فى تفسيره وأفكاره، فقد ركز محمد عبده على ضرورة إخراج العقل الاسلامى من حالة السبات التى كان يعيشها، واهمية مشاركته الفعالة فيما يجرى حوله من أحداث، ونرى الأمر يتطور عند سيد قطب على نحو محاربة التسلط السياسى الذى وجد أنه سبب حقيقى وراء حالة السبات هذه، ولكن الظروف التي ظهر فيها الشعراوى توحى بانفراج هذه الأزمة بعض الشئ ولذا فقد أصبح يخاطب عقلا متحركا نوعا ما وبدرجة تسمح بالبناء عليها وإضافة المزيد من الحركة والفهم والوعى إليه.

هـ) كان لفكر هذه المدرسة عبر تطوراته المختلفة أثر واضح فيما يظهر بعد ذلك من جماعات دينية كثيرة ومختلفة فى آن واحد، ولو تتبعنا حركتها

النشطة لوجدنا أثرا واضحا لبعض أعضاء المدرسة فى فكر هذه الجماعات سواء الثورية منها، والهادئة نوعا ما، خاصة فيما يتعلق بالرؤية السياسية فى فكرها وإن كان معظمها يميل الى ضرورة المشاركة السياسية نتيجة إيمانها بأن الأسلام دين ودولة، ولا تنفصل السياسة عن الدين بحال من الأحوال، وإن كانت الجماعات الدينية الحديثة قد جنحت أحيانا عن الطريق فازداد بعضها انغلاقا حول النصوص، مما جعلها تظهر فى صورة قوالب جامدة حول النص القرآنى، وأغفلت كثيرا دور العقل فى فهم النص مع أنه ضرورى ومهم لدرجة أن أى منهج من مناهج القدماء والمحدثين لم يغفله، وقد يكون صراع هذه الجماعات مع السلطات السياسية الحاكمة سببا فى هذا الانغلاق.

و) لم تستطيع هذه الجماعات رغم نقدها لمن تولوا تفسير القرآن بآرائهم المذهبية أن تتخلص من هذا الامر، بل إنها فى بعض الأحيان زادت عما كان يفعله السابقون، وذلك نتيجة لحتمية التطور الزمنى، ودخول بعض أفراد هذه الجماعات فى صراع مع السلطة السياسية الحاكمة أو فى صراع مع الجماعات التى تنتمى إلى فكر مختلف لما ارتضاه أهل السنة من منهج وسلوك.

ز) نتيجة للرؤية العقلية التى التزمها أصحاب هذه المدرسة فى فهم القرآن، ومحاولة ربطه بالعصر الذى نعيشه، تأثرت هذه المدرسة بالنزعة العلمية السائدة، وبفكر أصحاب مدرسة التفسير العلمى، وإن كانت لا تغرق فى هذا الأمر، فهى تأتى به فى موضعه الطبيعى حينما يتعرض أحدهم لتفسير آية من آيات القرآن التى تحمل اشارة الى ظاهرة كونية، وهذا يحسب لهذه المدرسة لا عليها، فهى لم تشأ أن تعيش بمعزل عما يجرى حولها او

تعزل النص القرآنى عن فهم العصر، خاصة أن القاعدة الثابتة لدى جميع الاطراف هى أن القرآن صالح لكل زمان، وبالتالى فهو يستطيع أن يعايش الظروف التى يعيشها أهل كل عصر، وما كان إغفال القدماء لهذه الجوانب أو بمعنى صحيح عدم التفصيل فى هذه المسائل الكونية إلا نتيجة لعدم نضوج التفكير العلمى بمعناها المادى والتكنولوچى كما هو الحال الآن.

وأخيرا فان كل هذه الملاحظات تدل بما لا يدع مجالا للشك على سعة أفق هذه المدرسة، وتعايشها مع التطور الفكرى والاجتماعى الذى حدث للأمة نتيجة لاتصالها بحضارة الغرب، مما جعلها لا تتحرج فى الإفادة من كل ما عرفته من هذه الحضارة من تقدم تكنولوچى وعلمى مذهل، وقد ترتب أحيانا على هذا مناداتها بضرورة التفوق عليها ما دام فكرنا ومنهجنا الإسلامى لا يمنع من ذلك بل يدعو إليه.



الفصل الثالث

الاتجاه الفردي في التفسير

بعد أن تعرضنا لمدرستين كبيرتين فى تفسير القرآن الكريم فى العصر الحديث، نعطى لمحة عن بعض الجهود التفسيرية الأخرى التى تناول بعضها القرآن الكريم كله، وتناول البعض الاخر سورة أو أجزاء منه في مبادرات فردية من داخل هؤلاء الذين تعرضوا لتفسير القرآن الكريم، ويلاحظ فيها جميعا أن مواقع هؤلاء الافراد كانت وراء قيامهم بهذه التفاسير فمنهم من دفعه دوره كداعية إسلامى كبير كالإمام الشهيد حسن البنا، ومنهم من كانت وظيفته كأستاذ بالازهر أو أحد الجامعات دافعا للقيام بهذه المهمة كالدكتور محمد سيد طنطاوى ومنهم من جمع بين الموقعين كالإمام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود، ولا نذكر الأسماء هنا على سبيل الحصر ولكن على سبيل المثال.

وقد تنوعت هذه الجهود التفسيرية تبعا لانتماءات أصحابها فمنها ما جاء امتداداً لفكر المدرسة السلفية التى كانت تعتمد على التفسير بالماثور. ومنها ما جاء تفسيرا بالرأى متبعا للمدرسة الاعتزالية أو مقاربا لفكر المدرسة الاجتماعية حتى وان نحى منحا آخر كأن يركز على قضية من القضايا المطروحة كالإسلام فى مواجهة المادية، ومنها ما جاء تفسيرا ميسرا مبسطا حتى يكون فى متناول العامة أو بمعنى أدق متوسطى الثقافة والتعليم، ومنها ما جاء منتميا إلى مذهب عقائدى من المذاهب القديمة كالمذاهب الشيعى، وفيما يلى تعريف بها ومناهجها:

١) مقاصد القرآن الكريم للإمام الشهيد حسن البنا

وأول هذه الجهود هى المحاولة التى لم تتم من الإمام الشهيد حسن البنا، وقد قام بها على صفحات مجلة الشهاب التى أصدرها فى غرة المحرم سنة ١٣٦٧هـ لتكون لسان حال جماعة الإخوان المسلمين وكانت تحت باب

التفسير وعلوم القرآن، ونشرها على عدة حلقات وقد صرح هو بأنه كان ينوى تسميتها لو اكتملت " مقاصد القرآن الكريم" وقد جمعتها دار الشهاب وأصدرتها فى أجزاء عبارة عن كتيبات صغيرة، ربما قام بها أحد تلاميذه الذى عاصروا كتابته لهذه الفصول، ويؤكد المسئولون بدار الشهاب أنهم جمعوا ما كتبه الإمام البنا بعناية تامة ودقة فائقة، مما يؤكد نسبتها إليه، كما يبدو من الكلمة المثبتة على ظهر الكتاب الأول أن بعض هذه الفصول لم ينشر فى مجلة الشهاب، وهذا يعنى أن الإمام كتبه ولم يمهله القدر من نشره، ثم كرروا تأكيدهم بأنها لم تسمع منه ولم ترد عنه وإنما سطرها الإمام بقلمه وكتبها بنفسه على مدى أكثر من عشرين عاما من عمره الزاهر".

بدأ الشيخ حسن البنا محاولته بمقدمة فى علوم التفسير تناولت عدة موضوعات منها نشأة علم التفسير وتطوره ومدارسه، والعنوان يوحى بأنه سيتكلم فى نشأة التفسير وتطوره والمداس المختلفة ولكننا نجد عناوين فرعية أخرى مختلفة عن هذا العنوان الرئيسى فنجده يتحدث عن القرآن الكريم وفضله، ثم يتبعه آخر هو الحاجة الى التفسير، ويذكر فى عرضه لهذا الموضوع أنه بالرغم من أن القرآن واضح ويسره الله تيسيرا عجيبا إلا أنه بعد تبليل الألسنة وفشو اللحن وانتشار العامية والبعد عن الفصحى صار الناس فى حاجة إلى تفسير الألفاظ والتراكيب التى قد يغيب معناها عن أذهانهم أو يخفى مدلولها عن إدراكهم"[1].

وهذه الأسباب هى التى دفعت إلى التفسير قديما وحديثا ويورد فى تدعيم رأيه مأثورات كثيرة عن على رضى الله عنه وبعض الصحابة والتابعين ثم يتبع ذلك بعنوان آخر عن التفسير بالرأى، ويرى أن السلف

---

(١) الإمام حسن البنا/ مقاصد القرآن الكريم ط دار الشهاب ١٩٧٨ط٧١

كانوا يتحرجون من هذا الامر حذرين من أن يقعوا تحت طائلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه الترمزى" من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ"، وينتهى إلى بيان رأيه فى التفسير بالرأى فيقول: والمراد بالقول بالرأى هنا: أن يقول بغير علم خجلا أو تورطا أو هروبا من الوصف بالجهل، او أن يتحكم الهوى وتتغلب الأغراض فتجور بصاحبها عن نهج الصواب وتعدل به عن طريق الحق فلو أصاب أحدهم مع هذه الالقبة فقد أخطأ واثم، ولا شك أن الذين يجتهدون فى تحرى الحق متجردين له من أهوائهم فهم مثابون، إن أخطاوا فلهم أجر وإن أصابوا فلهم أجران إن شاء الله[٢].

وبهذا يجمع بين رغبة السلف فى التفسير وتعظيمهم لقدر المفسرين وبين خوفهم من القول فى القرآن بالرأى .

والحقيقة أن هذا النص غامض إذ يوحى فى بدايته بتحرج السلف من الرأى حتى لا يفتوا فى القرآن بغير علم وينتهى إلى إجارة ذلك بشرط التجرد من الهوى، إذ كيف يتحرجون وهم الفئة التى يمكن أن توصف بالتجرد من الهوى، ومن الذى يمكن ان يأتى بعدهم متجردا منه، فهل يعنى بذلك من يسيرون فى العصور المتأخرة على نهج هؤلاء السلف الصالح، ربما، ولكنه فى حقيقته تمن من الإمام الشهيد يتفق وروح التفاؤل عنده بأمكانية تحقيق المجتمع الاسلامى الذى يمكن أن توجد فيه مثل هذه النماذج.

وبعد ذلك يأخذ فى بيان نشأة علم التفسير بصورة جامعة مبينا تأثر أسلوب التفسير بالثقافات والعصور المختلفة ثم عصر التدوين والقصص

---

(٢) المصدر السابق /١٠

وعصر الترجمة والفلسفة، ويورد أمثلة ونماذج من التفاسير المتأثر بثقافات العصر ويذكر منها تفسير مفاتيح الغيب للرازي الكشاف للزمخشري وتفسير الزجاج وأبي حيان الأندلسي، ثم يتحدث عن مسايرة التفسير في العصر الحديث للنهضة العلمية ويأخذ بعد ذلك في الحديث عن مزالق المفسرين ويبين انهما في ثلاث مسائل: أ : في القصص، ب في الكونيات، جـ في السمعيات، وفي صفات الله ويقصد بالسمعيات هنا الغيبيات التي ذكرها الله وسمعناها وامنا بها ولم نرها، ويرى أنه يجب علينا ان نأخذها على ما اخبرنا الله عنها ونصدقها ولا نخوض فيها حتى لا نختلف ونتفرق ويضرب مثلا لهذا الامر بالخلاف الذي نشأ بين المعتزلة واهل السنة حول الصفات والتي ادت إلى محنة خلق القرآن، وهذا يعني وعي الشيخ تماماً بالجهود السابقة عليه، كما يعني إفادته منها حتى ولو لم يظهر ذلك بصورة مباشرة.

وفي الحقيقة فان الأمثلة التي ذكرها في ب , ج صحيحة ومتطابقة مع الفكرة تماما، اما في المسألة الاولى : في القصص استدل بمثالين غير دقيقين وهما الدكتور طه حسين، والثاني الدكتور محمد احمد خلف الله صاحب "القصص الفني في القرآن" ونقول ان المثالين غير دقيقين لأنهما خارج دائرة التفسير اللهم إلا إذا كان يقصد بالمزالق العامة ولأداء المختلفة، وهو أيضا غير متوافق مع العنوان.

ثم يبدأ بعد ذلك في التفسير وهنا يمكن أن نلخص منهجه في عدة نقاط:

١) أنه كان يبدأ بالحديث عن فضل السورة كما فعل مع سورة الفاتحة وسورة البقرة.

٢) كان يعتمد بدرجة كبيرة على المأثورات في كل ما يتعلق بالسورة سواء تحدث عن فضلها او عن مكان نزولها وزمن نزولها.

٣) كان يستند إلي آراء المفسرين السابقين من القدامى والمحدثين وان كان يركز فى المحدثين على الإمام الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا.

٤) أحيانا كانت تستغرقه بعض القضايا المطروحة قديما وحديثا حول الآيات مثلما فعل مع البسملة وهل هى آية معدودة أم لا، ثم حكم قراءتها جهرا أو سرا فى بداية الصلاة.

٥) كان يستنبط من الآيات قضاياتهم المسلمين فى عصره إذ نجده فى التعقيب على بسم الله يتحدث عن التربية الإلهية للخلق ويسرد عددا من الأمثلة من واقع الكائنات السائرة فى الكون.

٦) أحيانا يذكر القراءات المختلفة للفظ مثلما فعل عند تفسيره (مالك يوم الدين).

٧) ركز على مسألة التربية فى حديثه عن مالك يوم الدين فيقول: "ولما كانت الرحمة ليست السبيل الوحيد إلى التربية بل لابد معها من الجزاء حتى يجتمع الترهيب الى الترغيب ناسب أن يذكر الله خلقه بدقيق محاسبته بعد أن ذكرهم بمظاهر رحمته حتى يتمثلوا دائما أن رب العالمين الرحمن الرحيم هو مالك يوم الدين الذى سيحاسبهم ويدينهم بما يفعلون" (٣).

---

(٣) المصدر السابق /٤٨.

٨) يجمع بين الاسلوب المبسط السهل، وبين لغة الخطابة والوعظ فنجده أحيانا يتكلم كما لو كان يوجه حديثا إلى مخاطبين.

٩) عندما بدأ في تفسير سورة البقرة تحدث عن حكمة التسمية ثم تبعها باستعراض عام للمقاصد وكأنه كان يرسم منهجا عاما أو يضع إطارا عاما لتفسير السورة.

١٠) لم ينس أن يدلي بدوره في فهم الحروف المقطعة في أوائل السور (آلم)، وينتهي فيها إلى أنها سر من أسرار إعجاز القرآن الكريم.

١١) لم يتحرج من أن يستند إلى آراء بعض المتصوفين القدامى مما يوحي برحابة الفكر عنده ولم يهمل جهود أي طائفة كما فعل كثيرون ممن ساروا على نهجه ومثل ذلك ماورد في صفحة ٧٦ حينما أورد رأيا لأبي يزيد البسطاني في المتقي.

١٢) حينما جاء إلى ذكر الصلاة ترك التفسير وراح يتحدث عن الصلاة في القرآن والسنة، وحكم ترك الصلاة وكيف فرضت ومتى وأثرها الروحي والاجتماعي مما يؤكد الروح الوعظية.

ولا شك أن هذه المحاولة جاءت متوافقة مع الهدف الذي من أجله بدأ يفسر القرآن، وهو الهدف الذي شرحه مرة في حديث الثلاثاء بقوله: واجبنا نحو القرآن الكريم أربعة:

* أن تؤمن إيمانا جازما قويا لا ضعف فيه ولا وهن معه بأنه لا ينقذنا إلا منهاج اجتماعي مستمد من كتاب الله تبارك وتعالى، منهاج مأخوذ من كتاب الله وصادر عنه، وأن كل نظام اجتماعي حيوي لا يعتمد على القرآن

الكريم، ولا يستمد من القرآن الكريم فى كل ناحية من نواحى الحياة هو منهاج باطل.

* وعلينا بعد ذلك - نحن المسلمين - نحو كتاب الله تبارك وتعالى أن نتخذ منه أنيساً وسميراً ومعلماً، نتلوه ونقرأه وألا يمر يوم من الأيام حتى تكون لنا صلة بالله تبارك وتعالى .

* وعلينا بعد ذلك أن نلاحظ - حين نقرأ القرآن - آداب التلاوة، وحين نسمع كتاب الله آداب الاستماع، وأن نحاول ما استطعنا أن نتدبر وأن نتأثر.

* وبعد أن نؤمن ياأخى بأن كتاب الله هو المنقذ الوحيد، بعد هذا يجب علينا أن نصل إلى العمل بأحكامه. (٤)

ويتضح من هذا النص مدى توافق هذا الهدف، وقد يشتم منه توافقا مع المدرسة الاجتماعية فى هدفها وهو تغيير المجتمع إلى الأفضل، وقد يثور تساؤل: لماذا لم يوضع ضمن مفسرى المدرسة الاجتماعية ؟ والإجابة على ذلك سهلة، وهى أن الرجل كان متفرداً، وينطلق من منطلق خاص به نابع من دعوته التى جمع حولها الناس، وإذا كان قد التقى معهم فى هدف تغيير المجتمع، فإن تفسيره لا يتسم بسمة واحدة من سمات المدرسة الاجتماعية.

وفى النهاية فإن هذا التفسير قد جمع بين مميزات التفسير بالمأثور وبين ميزة اجتهاد الشيخ البنا برؤيته البسطة والعميقة فى آن واحد.

---

(٤) حسن البنا/ حديث الثلاثاء/ط مكتبة القرآن بولاق القاهرة سجلا نشرها أحمد عيسى عاشور ١٩٨٥/١٤. ١٥. ١٦. ١٧

٢-التفسير الوسيط للدكتور الشيخ محمد سيد طنطاوى

تأتى هذه المحاولات من الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية، وقد أتمه قبل أن يتقلد منصبه هذا فقد بدأه سنة ١٩٧٥م وانتهى منه سنة ١٩٨٥، وتولت طباعته دار سعادة بالقاهرة من أول جزء إلي آخر جزء فيه، وقد خرج كتفسير لكل سورة، ثم جمعته الدار المتولية نشره فى أجزاء ولذلك نلاحظ تدرج مناصب الرجل، وسنوات التأليف، وقد جاء التفسير متكاملا مرتبا حسب ترتيب المصحف وانتهى بنهايته أى أنه تفسير كامل للقرآن.

وينهج الشيخ فى تفسيره منهجا متميزا يجمع بين القديم والجديد وبين النقل والعقل، وبين اللغوى والفقهى، ويطرح فيه كافة معارفة، ولا يتحرج من الاعتماد على المفسرين السابقين عليه قدماء كانوا أم محدثين.

يبدأ الشيخ تفسيره للسورة بتقديم تعريف بين يدى السورة يذكر فيه كل المعلومات عن السورة اسمها وسبب تسميتها بهذا الاسم وعدد آياتها ثم يبين مكيتها ومدنيتها بل يحاول أن يصل إلى تحديد زمنى لنزولها فمثلا عند تفسيره لسورة الرعد يذكر الروايات التى وردت حول المكى والمدنى فيها، وبعد أن يورد هذه الروايات يقول: " هذه بعض الروايات فى زمان نزولها، وهى - كما ترى - التعارض فيها واضح، والذى تطمئن إليه النفس أن السورة الكريمة يبدو بوضوح فيها طابع القرآن المكى سواء كان ذلك فى موضوعاتها، أم فى أسلوبها، أم فى غير ذلك من مقاصدها وتوجيهاتها.. وأن نزولها على الراجح - كانت فى الفترة التى أعقبت موت أبى طالب والسيدة خديجة- رضى الله عنها-(٥)

(٥) سيد طنطاوي- التفسير الوسيط (تفسير سورة الرعد) ط دار سعادة القاهرة ١١٨٤ ص٦.

وبعد هذا النص يدعم رأيه بمبررات أخرى ثم يأخذ فى عرض إجمالى لسورة الرعد والمعانى الأساسية التى وردت فيها ثم يأخذ فى تفسير السورة، وفى هذا يسير وفق المنهج الشائع لدى معظم المفسرين، إذ يذكر مجموعة من الآيات جملة واحدة وبعد ذلك يفسرها آية آية، ولا يتحرج من تكرار القول عندما يتعرض لموضوع مكرر مثلما فعل مع الحروف المعجمة فى أوائل السور والشيخ يستعين فى تفسيره بكل الوسائل؛ اللغة والنحو والقراءات، فمثلا عند تفسيره للآية الثانية من سورة الرعد (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) يقول: "والعمد : جمع عماد وهو ما تقام عليه القبة أو البيت، وجملة " ترونها "فى كل نصب حال من السموات"[٦]، وبعد ذلك يذكر معنى هذا الجزء من الآية.

فإن كان اللفظ مما يختلف حوله ذكر الأقوال المختلفة التى ترد فى تفسيره، مثل لفظة "المحال" التى وردت فى الآية (١٣) من سورة الرعد يذكر آراء المفسرين السابقين فى معناها قال القرطبى ، وقال الأزهرى، وقال أبو عبيد وغيرها من الأقوال فى تفسير اللفظ، وينتهى فى بعض الأحيان إلى رأيه.

وفي بعض الأحيان يذكر أقوال المفسرين السابقين مباشرة مثلما فعل مع المجموعة الثانية من الآيات فى سورة إبراهيم التى تبدأ بقوله تعالى "ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ... إلى قوله تعالى " ...فإن الله لغنى حميد) يبدأ مباشرة ب "قال الإمام الرازى"، ثم يعرف بموسى ونسبه ويشرح بعد ذلك الآيات التسع التي دعم الله موقف موسى أمام فرعون وقومه ويورد الآيات التى جاءت فى سور أخرى ذاكرة لهذه الآيات.

---

(٦) المصدر السابق ص١٥

وأحيانا يصادفه تعارض بين أقوال المفسرين حول نقطة من النقاط فى تفسير آية، فيذكر هذه الآراء ويرجع بعدها رأيا يرتضيه وذلك مثلما فعل عند تفسيره للآيات : "ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله نراه يستعرض الآراء التي تنقسم قسمين: الأول يرى أنها تكملة لقول موسى لقومه، والرأي الثانى يرى أنه كلام مستأنف موجه من الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ليخبر به قومه قريشاً، بينهما رأى الرازى الذى يرى احتمالية الرأيين وهو حل وسط بينهما، ويميل فى النهاية إلى الرأى القائل بأنها موجهة إلى أهل مكة على سبيل وعظهم وإرشادهم عن طريق ضرب أمثلة من الأمم الأخرى الذين رفضوا منهج الله، فكان عقابهم شديداً.

وفى النهاية فإن هذا التفسير يستحق الوقفة عنده لأنه جاء متميزا حقا فى اتساعه وشموله لكل الاتجاهات النقلية والعقلية، ولإفادته من كثير من العلوم المرتبطة بالقرآن كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ، كما أنه لم يهمل الجانب اللغوي بل كان دائم الذكر لمعنى اللفظة واعراب بعض الجمل أو الكلمات، وتجده وعاء جامعاً لكثير من آراء المفسرين وفى الوقت نفسه فإن شخصيته فيه بارزة ، وربما كان لاستيعابه لمنهج الطبرى أثر فيه حيث كان يسلك هذه الطريقة وينتهى إلى ترجيح رأى يقتنع به.

٣) تفسير صفوة البيان لمعانى القرآن للشيخ حسنين مخلوف

وهو تفسير صدر فى مجلد ضخم طبعته الكويت فى عام ١٩٨٧ طبعة فاخرة ويشتمل على تفسير كامل للقرآن الكريم من أوله إلى أخره، وذكر فى صدره أنها الطبعة الثالثة مما يبدو أنه طبع في مصر قبل ذلك، ومؤلفه هو الشيخ حسنين مخلوق الذى تقلد منصب مفتى الديار المصرية، وكان مثالا

للمفتى الواعى المستنير الذى يهتم بالعقل، ولا يغفل جانب النقل!

ويصّدر الشيخ حسنين مخلوف تفسيره بمقدمة مختصرة عن علوم القرآن ركز فيها على بعض العلوم التي أفاد منها فى التفسير فيتحدث عن المكى والمدنى، ويبين أن عدد سور القرآن الكريم (١١٤) مائة وأربع عشرة سورة منها (٢٩) تسع وعشرون مدنية والباقى مكى، ثم يتبع ذلك بحديث عن معنى السورة وترتيب الآيات ويري أنه توفيق من عند الله وهو رأى جمهور العلماء وترتيب السور، واجماع العدول من الصحابة على اختيار هذا الترتيب، وأسباب تسمية كل سورة باسمها، ويلى ذلك فصل عن المحكم والمتشابه، ويرى أن المقصود بالمتشابه هو الآيات التى تتحدث عن الصفات لأنها الآيات التى أثارت جدلا بين الطوائف الدينية المختلفة ويميل فيها إلى رأى اهل السنة بإثباتها مع عدم التفكر فيها، ثم يتحدث عن أقسام القرآن وعن الاستعاذة والبسملة والتأمين ويرى أنها من ضروريات تلاوة القرآن الكريم. ثم ينتقل بعذ ذلك إلى التفسير ويبدأ بفاتحة الكتاب ويستمر حسب ترتيب المصحف وآياته يقف عند كل آية يفسرها طبقا لترتيب الكلمات فيها، وإن كان قد توصل إلى معنى إجمالى للآية يورده بعد تفسيره للكلمات.

* يستخدم الشيخ مخلوف في تفسيره المعنى المعجمى والدلالة اللغوية للكلمة، كما يستخدم النحو والصرف احيانا فمثلا عندما يصل إلى كلمة "الغيب" يقول: "الغيب مصدر غاب، أقيم مقام اسم الفاعل وهو غائب مبالغة كأنه هو، وهو الخفى الذى لا يدركه الحس" وتشعر هنا برائحة صوفية، وان كانت غير مفصلة.

* نلاحظ أيضا أنه لا يستند إلى نصرص أو تفاسير قديمة، ولا غرابة

في ذلك فهو يذكر الآيات ويفسر ألفاظها، ولا يحتاج فى ذلك إلى دليل من مأثور أو منقول مما يوحى بمحاولة الرجل إثبات فهمه الخاص للنص القرآنى.

* نتيجة لذلك كله نجده قليل الاعتماد علي المأثورات، ولو بحثنا فى التفسير كله لوجدنا عددا يسيرا جدا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا ترد فى تفسيرمعنى كلمة، وانما ترد في إطار إثبات حكم معين ، أو خلاصة استنتاج محدد ، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى المنهج الذى سلكه لأنه واضح أن التفسير كان عبارة عن دروس فى المسجد ، يقرأ فيها الشيخ من المصحف ويفسر المعنى للناس وغالبا ما يكون التركيز فى هذه المسألة على المعاني التى يريد أن يفهمها للناس

* وأخيرا نلحظ فى هذا التفسير بعض الاستنباطات مما يناقض ظاهره الذى يوحى بأنه تفسير مبسط ليفهمه الناس جميعا ، ولا بأس فهذه الاستنباطات يمكن للمتوسط الثقافة أن يفهمها ويدركها ، كما نلاحظ أنه لم يجر ذكرا لأسباب النزول أو الاسرائيليات فى تفسيره أو أى شئ آخر مما استخدمه السابقون عليه ، وربما كان ذلك نابعا من عنايته وتركيزه على تفسير معانى النص نفسه.

٤- التفسير الموضوعى للقرآن للدكتور محمد البهى

ظهر هذا التفسير فى أجزاء كل جزء منها يتناول سورة من سور القرآن الكريم وقد بدأ ، المؤلف فى الستينات وانتهى منه بنهاية السبعينات، وأصدرته دار مطبعة ومكتبة وهبة فى طبعتين كان آخرهما سنة ١٩٧٨، وقد اتبع المؤلف العنوان الكبير بعنوان صغير "الاسلام فى مواجهة المادية "وهو لا شك أمر له دلالته الواضحة فى أن المؤلف سيركز تفسيره علي فى إثبات

عظمة الدين الإسلامى أمام الأفكار البشرية.

* وأول ملاحظة على هذا التفسير أن صاحبه ركز على السور المكية دون غيرها من سور القرآن الكريم، وهو اختيار يبرز الفكرة التى قام على أساسها هذا التفسير إذ إن تلك الفترة من عمر الإسلام كانت فترة مواجهة وصراع بين منهجين فكريين، بين المثالية والروحية المتمثلة فى الفكر الجديد وبين مادية المشركين، مما وجد فيه المؤلف معادلا موضوعيا للصراع الدائر فى الستينات بين الفكر العلمانى الاشتراكى وبين الفكر الدينى.

* ثانيا: يتمشى هذا مع الموضوع الذى أخلص الدكتور البهى له إنتاجه العلمى، والقارئ لمؤلفاته التى بلغت خمسة وعشرين مؤلفا يجدها تنصب فى معظمها على تلك الفكرة التى جعلها عنواناً صغيراً لتفسيره فمنها رأى الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، والقرآن والمجتمع، ومنهج القرآن في تطوير المجتمع، ،والدين والحضارة الإنسانية وغيرها بل إن له مؤلفا بنفس العنوان "القرآن فى مواجهة المادية".

* ومن خلال ذلك يقف فى تفسيره لكل سورة مكية على المواضع التى يبرز فيها أى صراع بين المشركين من أهل مكة وبين المسلمين، ونجده دائما يصفهم بالمشركين المكيين الماديين، وهذا التركيز يعنى أنه يوجه حديثه إلى الماديين من معاصريه، أى أنّ مشركى مكة هم بمثابة القناع الذى يخفى وراءه حقيقة خصومه، وربما كان ذلك راجعا إلى فهمه للحقبة التى أخرج فيها هذا التفسير، وتصوره أن هؤلاء الخصوم مسيطرون على الحياة السياسية والاجتماعية فيحتمل البطش به.

* يقوم منهجه فى التفسير على عدة أسس :

أ) يبدأ كل كتاب (كل تفسير سورة مكية) بتمهيد عن الموضوع الذى تتضمنه السورة وبالرغم من تركيز كل هذه السور على فكرة العقيدة إلا أنه كلا منها ركزت على آية من آيات الله فى خلقه، فمثلا معجزة الخلق موضوع سورة مريم، ومعجزة التحدى الإلهى وقهره لكل مشرك متكبر جبار مثل القصص والشعراء، وهكذا تمضى كل سورة فى إثبات جزءية من جزئيات التكوين العام للعقيدة.

ب) يورد مقدمة للسورة تتضمن تعريفا بها، وعدد آياتها وعدد المكى منها وعدد المدنى وأحيانا يذكر أسباب النزول ومناسباته.

جـ) ثم يدخل بعد ذلك فى تفسير السورة مقسما إياها إلى فقرات، ولا يتحدث فى المفردات كثيرا ولكن يتحدث دائما فى صورة إجمالية حتى يتمكن من عرض رأيه الذى يريد أن يطرحه على القارئ.

ولنأخذ نموذجا على هذا التفسير للآية ٧ من سورة الأنعام يقول بعد أن يضع عنوانا للآية هو :

أولا : ادعاءات المشركين الماديين فى الاعتقاد :

(ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين).

ومن هذه الآية تبتدئ سورة الأنعام بذكر ادعاءات المشتركين الماديين من المكيين فى جانب الاعتقاد أولا، ثم فى جانب ما يحل وما يحرم بعد ذلك، وادعاءاتهم فى جانب الاعتقاد قد يشاركهم فيها غيرهم من الماديين الآخرين

كما جاء هنا في قوله تعالي: ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس (أي في صحيفة مشاهدة عيانا) فلمسوه بأيديهم (أي فأدركوه إدراكا حسيا يلمس باليد، ولا مجال عندئذ لإنكاره ومعارضته) لقال الذين كفروا (أي لقال الذين من شأنهم أن يكفروا بما لم يكن متوارثا فيهم: في عرف أو في تقاليد أو في اعتقاد "أي لقال هؤلاء مع ذلك إدعاء ورميا بغير حق ، إن هذا إلا سحر مبين، أي إن هذا الا خداع أي دين الله - رغم وضوح صدقه ، وواقعية مبادئه - هو ادعاء او اتهام يوجهه الماديون في كل عصر، لتغطية تمسكهم بالمادي وحده وانكارهم ما عداه من القيم العليا في حياة الانسان. فقد رمي دين الله بالامس بأنه سحر، ويرمى اليوم بأنه أفيون الشعوب، والسحر والأفيون كلاهما لا يعرض الواقع، ولكن يموه به في التصور فحسب مع أن الانسان المادي نفسه لا يساير الواقع، لانه انتهازي ومنفعي ودنيوي وأناني، ومسايرة الواقع تقضي بالصراحة وسلوك الطريق المكشوف"(٧)

ولعل المثال واضح الدلالة على صدق ملاحظاتنا، فهو يبدأ بطرح القضية وينتهي من تفسير الآيات بإعادة استخلاص النتائج المتفقة مع المقدمات، ومما يؤكد أنه كان معنيا بمواجهة الفكر المادي الماركسي، مقارنته بين مقوله المشركين القدماء عن الدين بأنه سحر وكان ذلك يجري مع كل نبي، واليوم توجه المادية الماركسية، تهمة واحدة ومحددة للدين في كافة صوره وأشكاله بأنه افيون الشعوب وكلا من السحر والافيون يذهب بالعقل ويغيبه عن الواقع.

ولنلاحظ أيضا هذا المفهوم عن "السحر" فهو يراه خداع وتخيل وليس

---

(٧) د. محمد البهي/ تفسير سورة الانعام/ مكتبة وهبة ١٦٧٨٢/١٧ . ١٨.

حقيقة، وبالرغم من أنه لايخوض فى تفصيلات هذه القضية إلا اننا نفهم من هذا التشبيه أنه لا يقر حقيقة تأثيره فى تغيير الطبيعة أو إلحاق الضرر وهذا يتعارض مع طبيعته السنية.

وكما قلت سابقا إنه لا يميل إلى تفسير الألفاظ منفردة أى كل لفظة بمعناها ولكنه يتحدث عن مدلول كل جملة ولذلك تتسع الجملة التفسيرية عنده لتكون أوسع من الجملة القرآنية، وسبب اتساعها أن الدلالات تنبع من منطلقه فى محاربة الفكر المادى، وينطلق بعد ذلك من خلاصة الموقف كما تحدث عن نسبة الخداع إلى الدين وهو ما يشترك فيه الماديون القدماء، والمحدثون وهكذا يتضح أنه تفسير ذو طابع خاص بمعنى أنه خصص لقضية محددة، وبالرغم من ذلك فلم تشعر بمحاولة تطويع النص لمفاهيمه الخاصة، بل كا ينطلق من النص نفسه، ويخرج منه إلى طرح هذه المفاهيم.

٥- تفسير سورة آل عمران للإمام الدكتور عبد الحليم محمود

كان الإمام الدكتور عبد الحليم محمود - رحمه الله - علما من أعلام الفكر الدينى الحديث، واسع الفكر رحب الثقافة، وكان يميل الى الجانب الصوفى ولكن فى غير جورعلى الجانب السنى، وأرى أن لدراسته الفلسفية أثرا كبيرا فى هذا الاتجاه، فقط حصل على الدكتوراه فى فلسفة التصوف وأغلب الظن أنه تشبع بروح الإمام أبى حامد الغزالى في محاولته التوفيق بين المذهبين المتصوفة والسنية مما كان يسمى بالتصوف السنى وإن كانت معظم مؤلفاته عن أعلام التصوف إلا أن له مؤلفات عن القرآن وعن النبى صلى الله عليه وسلم، وعن الإسلام فى أوربا وغيرها من المؤلفات التى تنم عن عقلية واسعة الثقافة رحبة الفكر، أهلته لأن يتولى مشيخة الأزهر مدة طويلة، وأن يحظى بقبول المثقفين الدينيين على اختلاف انتماءاتهم ولا غرو

فقد كانت طبيعة الشيخ سمحة. كما كان فكره سمحاً فلم يتعصب لما ارتضاه لنفسه من تصوف بل أفاد من الفكر الدينى بشكل عام وليس أدل على ذلك من وقفته الحادة ضد الإدارة السياسية فى ذلك الوقت فى محاولتها فرض قانون الأحوال الشخصية، الذى ثبت بعد ذلك مخالفته بعض بنوده لأحكام الشريعة الإسلامية، وحدث تراجع فيها، وهذا يؤكد صدق ما ذهبنا إليه.

وقد أدلى الإمام عبد الحليم محمود رحمه الله بدلوه فى تفسير القرآن الكريم فقام بتفسير سورة آل عمران فى جزءين طبعتهما الدار المصرية للطباعة والنشر بالقاهرة عام ١٩٧٨ كما هو مثبت برقم الايداع بدار الكتب وان كان ذلك يعني أنه ألفهما وأخرجهما فى العام نفسه وربما قبله أو بعده لأن الإمام رحمه الله توفى نحو هذا التاريخ.

ويبدأ المؤلف بمقدمة فى التفسير عن الكتاب العزيز بين فى هذه المقدمة فضل القرآن واشتماله على كل الفضائل التى تنشئ مجتمعا صالحا، كما بين انه كتاب محكم عظيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويدعم قوله بأقوال بعض المستشرقين عن القرآن الذين قالوا:

"ان القرآن الذى نقرؤه الآن هو القرآن الذى أنزل علي محمد صلى الله عليه وسلم"(٨)

ولا ينسى فى هذه المقدمة أن يبين سبب اختياره لهذه السيرة لتكون موضع تفسيره بأن فى هذه السورة المباركة - سورة آل عمران - كثيرا من أضواء القرآن تتعلق بأصول العقيدة والمبادئ والأخلاق والقوانين الربانية (٩)

---

(٨) عبد الحليم محمود- تفسير سورة آل عمران - ط الدار المصرية للطباعة والنشر.

(٩) المصدر نفسه / ١٥ .

وينهج المؤلف فى هذا التفسير منهجا اقرب إلى التفسير بالمأثور يبدؤه بالحديث عن الاستعاذة والبسملة ويتبعه بحديث عن فضل سورة آل عمران ثم يأخذ فى التفسير، فيذكر الآية وينقل المأثورات المروية فى معناها وفي فضلها، فإذا أثارت الآية قضية من القضايا أفاض فيها مثلما وقف عند تفسير الآية السابعة من السورة (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وآخر متشابهات) فيفيض فى الحديث عن المحكم والتشابه ويورد كثيرا من الآراء السابقة حول المتشابه وينتهى منها إلى أن كل ما يتعلق بذات الله وبصفاته فإنه من المتشابه وكل ما نهينا عن البحث فيه فإنه من المتشابه وذلك مثل القدر وأفعال الإنسان هل هو مسير أم مخير.(١٠)

وعند هذه النقطة ينطلق إلى الخوض فى مسألة القدر ومسألة الصفات إذ يستغرق حديثه فى كل موضوع منها ما يزيد على خمس صفحات ونجده فيها يميل إلى الأخذ برأى أهل السنة وخاصة الأشعريين فى هذه القضايا، مما يؤكد ما ذهبنا إليه من التزامه بمنهج فكرى يجمع بين التصوف والسنة، ولا يغالى في ذكر الآراء الفلسفية بالرغم من دراسته للفلسفة بل يورد فى ذلك كل المأثورات التى تدعم رأيه. ويمكن القول بأن الشيخ استخدم لغة سهلة فى تفسيره وأسلوبا غير معقد بحيث يستفيد منه المثقف الخاص ومتوسط الثقافة، وقد كان ينتهى من سرده للمأثورات إلى رأى يعتقد به وينسب إليه.ونلاحظ على التفسير أنه كان أو يميل إلى طابع الوعظ، إذ إنة كان ينتهز فرصة تفسير آية تدعو إلى خلق فضيلة ويأخذ فى الدعوة من خلالها إلى التحلى بهذا الخلق أو هذه الفضيلة كما فعل عند تفسيرة للآية الكريمة

---

(١٠) المصدر السابق / ٢٧ .

" هنالك دعا زكريا ربه " إذ يأخذ في بيان فضل الدعاء والوسائل التي تكفل إجابة الدعوة ، وهو أمر يتفق ونزعته الصوفية التي تركز علي الأخلاق وضرورة التربية الوجدانية للمسلم حتي يكون طيبا ومن ثم يكون مقبول الدعاء .

ونلاحظ ملاحظة أخري وهي تأثره بمنهجه الصوفي وإن كان ذلك لايسيطر علي تفسيره إلا أنه يبدو ومن خلال مواقف محددة إذ يسمي ماحدث لمريم من تنزيل الرزق لها في المحراب أنه كرامة والكرامة عند المتصوفة هي علامة من علامات الولاية توازي المعجزة عند الأنبياء وقبل ذلك يتحدث عن الصفوة وأهل الخصوص ، ويبين أن طلبهم الولد مغاير لطلب أهل الدنيا بل يكون من أجل الهداية والعمل علي أن يستقيم أمر الله ، ومن أجل ذلك يهبون اولادهم من قبل ميلادهم ومن بعده لله تعالي .

كما نلاحظ أيضا بعده عن الخوض في الغيبيات بالرغم من أنه دارس للفلسفة الإسلامية والتي تعد الغيبيات أحد موضوعاتها وكذلك بعده عن الإسرائيليات بالرغم من إيراده لكثير من المأثورات الضعيفة أحيانا .

والحقيقة أن هذا التفسير جاء جامعا لكثير من السمات التي تميزت بها بعض التفاسير القديمة والحديثة ، وحتي فكرة تفسير القرآن بالقرآن نجدها فيه فكثيرا مايستعين بآيات القرآن من سور أخري تناولت الموضوع نفسه يذكرها في معرض تفسيره للآية في صورة تبرز الترابط في النسيج القرآني، وهذا أسلوب سلكه كل المفسرين قدماء ومحدثين ، وهي تتفق وطبيعة القرآن حيث تفسر بعض آيات البعض الآخر بمعني أنه أحيانا يجمل الحديث في

مرقف ويفصله في موقف آخر . وبالرغم من أنها كانت محاولة جزئية بمعني أنها تناولت جزءا محددا من القرآن اقتصر علي سورة آل عمران إلا أنها كانت لها دلالتها ومكانتها .

٦ - تفسير القرآن للدكتور محمد جميل غازي :

بدأ الدكتور محمد جميل غازي تفسيره للقرآن في صورة دروس شفوية يلقيها علي مريديه في مسجد العزيز بالله بالزيتون ، وقد كان إماما له وكان كذلك رئيسا عاما لجمعية أنصار السنة المحمدية ، ويبدو ، أن بعض مريديه أشار عليه بطبع التفسير ولكننا لم نعثر إلا علي تفسير لسورة إبراهيم مما يوحي بأنه كان يتناول السور سورة سورة يأخذ منها مايشاء من الدروس المستفادة منها ويمكن أن تدعم مذهبه الرامي إلي أحياء السنة النبوية المطهرة وسنري أثر هذا واضحا في تفسيره الذي لانعرف له تاريخ طباعة ولا تأليف بالرغم من مسئولية دار المدني للطباعة والنشر عنه إلا أنه لم يثبت له تاريخ وأحيانا كنا نعرف التاريخ من رقم الإيداع بدار الكتب وبحثنا فلم نعثر علي رقم ولاسنة إيداع .

وأول ملاحظة يمكن أن ترد في هذا الإطار هي أن هناك كتابين للدكتور محمد جميل غازي عن القرآن أيضا هما : أسماء القرآن في القرآن وصدرت في عام ١٩٧٥م وهي محاولة حصر للأسماء التي ذكرها الله لكتابه العزيز في القرآن الكريم وركز فيها علي : الوحي ، والحلال ، والحرام ، والخيرة والطيرة ، والأولياء ، والوسيلة ، والميراث ، والوصية والطلاق وهي أيضا بدون تاريخ لا في التأليف ولا في الطبع وليس لها رقم إيداع بدار الكتب .

ويبدو أن مؤسسة المدني للطباعة كانت هي التي تخصصت في طباعة مؤلفات الشيخ مما يوحي بأنها منقولة عن تسجيلات شفوية وأقرها للطبع وكتب لبعضها مقدمة وترك الأخري دون تقديم .

والكتاب الذي بين أيدينا ليس له مقدمة مما يثير احتمالين : أولهما : إما أنه جزء من سلسلة قدم لها في بدايتها وسارت الأجزاء بعدها تباعا دون تقديم وهذا لا نملك له دليلا أيضا فليس بين أيدينا أجزاء حتي نقول بصحة هذا الاحتمال ، أما الثاني فهو أن اصحاب المطبعة وكانوا من مريديه نقلوا هذا عن التسجيلات وطبعوها اما في عهده ولم يقدم لها حتي لاينسب إليه تفسير للقرآن تورعا أو أملا في أن يمهله العمر حتي يتمكن من مراجعته للتأكد من دقته وبعد ذلك ينسب إليه ويكون مسئولا عنه بالرغم من أن النص الموجود أمامنا يوحي بأنه استمرار لدروس التفسير ومما هو مطبوع بين ايدينا يتأكد لنا هذا الاحتمال ، لانه يذكر الدرس الاول في سورة ابراهيم ، وهو يعادل الدرس السادس والعشرين بعد المائتين من دروس التفسير ، مما يؤكد أن المؤلف بدأ مع بداية القرآن الكريم في دروسه الشفوية في المسجد ، وعلي الأقل انتهي إلي سورة ابراهيم ولو أثبت تاريخ علي الكتاب لعرفنا أنه قد توقف عند هذا أم لا بالرغم من قيادته لجمعية أنصار السنة المحمدية التي ركزت جهودها علي إحياء السنة النبوية الشريفة قولا وعملا .

ولنا عدة ملاحظات أولها : أنه كان يبدأ مع السورة فيذكر نبذة عنها وعدد آياتها بل أحيانا يذكر عدد حروفها ويذكر مكيها ومدنيها وكذلك يذكر سبب تسميتها ويبين مدي ارتباطها بما قبلها من السور .

ثانيها : إنه يتحدث عن كل مجموعة من الآيات ماذا يستفاد منها وهذا يتفق وروح الوعظ التي غلبت علي هذا التفسير .

ثالثها : إنه يري أن لكل سورة من سور القرآن الكريم شخصية مستقلة تدور حولها وينطلق في حديثه عن تفسير السورة من هذا المنطلق ويري أن سورة ابراهيم شخصيتها تكمن في قوله تعالي " وذكرهم بأيام الله " ، ويري أنه محور السورة الذي تدور حوله كل موضوعاتها ثم يستغرق في الحديث عن هذا الموضوع مما يؤكد فكرة الوعظ وليس قصد التفسير لذاته .

رابعها : إن منهجه يتراوح بين النقل والعقل وإن كان أميل إلي الاستنباط العقلي .

خامسها : فرضت فكرة الوعظ والدعوة عنده أسلوبا في التعبير جعلت جمله قصيرة وأحيانا كلمتين فقط ، مما يشعر بأنه يتحدث ولايكتب ، ويبدو أنها هي الروح الغالبة علي التفسير في العصر الحديث .

هذه جملة ملاحظات نوردها في إجمال عن منهج الشيخ جميل غازي وانما قصدنا التحدث عنه لأنه يمثل حلقة مهمة ومتميزة في حلقات هذا الاتجاه الفردي لعل الصورة التي من أجلها تحدثنا عن هذا الاتجاه تتضح .

٧ - الدكتور مصطفي محمود والقرآن محاولة لفهم عصري:

آخر هذه الجهود الفردية التي يمكن أن نتناولها منفردة هي محاولة الدكتور مصطفي محمود في فهم القرآن بلغة العصر ، وقبل الحديث عن هذه المحاولة لابد أن نشير إلي عدة نقاط مهمة :

أولا : هل تعد كتابات مصطفي محمود تفسيرات عصرية للقرآن ؟ ونجيب علي ذلك بنعم ، فالعنوان يدل علي قصد صاحبه إلي الدخول الي عالم القرآن عن طريق عدة قضايا مثارة كما قلت فالعنوان واضح الدلالة "القرآن محاولة لفهم عصري" أي أن قصد الكاتب هو فهم القرآن وماتناوله من قضايا في إطار من روح العصر ، صحيح أن الكاتب لم يتناول آيات القرآن بالترتيب ، وبالطريقة التقليدية التي سار عليها المفسرون إلا أنه قدم محاولة للفهم ، وماالتفسير في حقيقته إلا جهود مختلفة في فهم النص القرآني ، ومادامت محاولة الفهم عصرية فلايمكن لمصطفي محمود أن ينحي هذا المنحي التقليدي خاصة أنه يعيب الطريقة نفسها لانها تهتم بألفاظ القرآن بدون تتبعها بالشرح مع أن جمال القرآن وجلاله من وجهة نظره تكمن في الروح التي تبطن هذه الحروف .

ثانيا : تنطلق هذه الملاحظة من الأولي وفي الوقت نفسه تثير تساؤلا مهما هو : هل تأثر مصطفي محمود بمنهج الشيخ محمد بن أحمد الإسكندراني وكان كل منهما طبيبا ؟ سياق الكتاب ونصوصه لم تذكر إشارة من قريب أو بعيد إلي هذا التأثر ولا إلي اسم المؤلف السابق ، ولكن المنهج وطريقة العرض ومضمون الكلام يشير إلي شيء في هذا الإطار إن لم يكن تأثرا فاننا نعده توافقا في المنهج والقصد ، فكلاهما تناول القرآن في إطار قضايا محددة ، ومحاولة الإفادة من النظريات العلمية الشائعة والاكتشافات الحديثة سواء عن الكون أو الإنسان ، ومع هذا فهناك اختلاف في منهج التناول ، فقد انطلق الإسكندراني من منطوق آيات القرآن الكريم الي الاجتهادات والاكتشافات العلمية أما مصطفي محمود فانطلق من

الأخيرة أولا ثم أتبعها بآيات القرآن ، كما أن الإسكندراني أفاد من سابقيه ممن أدلوا بدلوهم في هذا المجال ، أما الثاني فقد اعتمد علي علمه بهذه النظريات الحديثة كلية .

ثالثا : وينتج عن ذلك أن مصطفي محمود وقع في مزالق خطيرة أحيانا ألجأته إلي التعسف وفهم القرآن الكريم حتي توافق ماانتهت إليه النظريات العلمية من نتائج مما أثار عليه كثيرا من الباحثين الذين اهتموا برصد ظاهرة التفسير مثل الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) والدكتور مصطفي الحديدي الطير وغيرهم ممن وقفوا موقف الرفض لهذا المسلك ، بل لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن محاولة مصطفي محمود هي التي أثارت ثائرة الرافضين للتفسير العلمي للقرآن بصفة عامة .

بعد هذه الملاحظات نستعرض جهود الرجل وسنكتفي بمثالين شديدي الاتصال بموضوعنا هما كتاباه " القرآن محاولة لفهم عصري " و "من أسرار القرآن " ومع ذلك فاننا يجب أن نذكر أن كتبه الأخري ذات الطابع الديني حتي ماجاء متصلا منها مباشرة بالقرآن ككتابه "القرآن كائن حي " تناولت بعض الآيات بالتفسير إلا أنها كانت حديثا أقرب إلي التفكير الفلسفي في موضوع محدد منها إلي أن تكون تفسيرا عاما للآيات التي تناولت هذا الموضوع في القرآن الكريم .

لقد تناول مصطفي محمود في كتابه "القرآن محاولة لفهم عصري" الموضوعات التالية : المعمار القرآني – مخير أم مسير (أي الإنسا ن) ، قصة الخلق – الجنة والجحيم – الحلال والحرام – العلم والعمل – أسماء الله

- رب واحد ودين واحد - الغيب - الساعة - البعث - لاكهنوت - لا إله إلا الله - لماذا إعجاز القرآن ؟ وكلها موضوعات مطروحة في القرآن ، وفي الوقت نفسه مطروحة علي مستوي الحياة الاجتماعية ولابد أن نلاحظ أن معظمها ليس جديدا ولا وليد العصر وإنما هي قضايا تثار في كل عصر ، ويحاول المفكرون الإجابة عليها من خلال معطيات عصرهم ، ومن هنا يبدو التمايز بين التناول في إطار العرض ومضمونه لكل عصر .

أما الكتاب الثاني "من أسرار القرآن" فيتناول الموضوعات التالية :

* لماذا خلق الله الحشرة ؟ لغز الزمن في القرآن - التآمر علي الأديان - علم نفس قرآني - الشريعة : متي وكيف ؟ - قطع اليد في القرآن . وكل هذه الموضوعات التي تضمنها الكتابان طرقتها آيات القرآن الكريم .

نأتي إلي طريقة التناول ولنأخذ مثالا عليها تلك القضية التي أثارت عليه حفيظة الكثيرين ، وهي قضية الخلق ، يبدؤها مصطفي محمود بما انتهت اليه النظرية العلمية ، ثم يتبعها بحديث القرآن عنها ، ومن ثم - تتضح الصورة ، فما دام العلم أولا فلن نجد غير اتباع آيات القرآن لهذا المفهوم العلمي ، ورغم أن المؤلف يحترز من هذه المقولة فانه قد وقع فيما يناقضها ولو اتبعها لكان لكتابه وضع آخر عكس الوضع الحالي له ؛ يقول مصطفي محمود في احترازه هذا " القرآن له أسلوبه المختلف عن كل الأساليب ، وهو حينما يشير إلي مسألة علمية لايعرضها كما يعرضها آينشتين بالمعادلات ، ولا كما يعرضها عالم بيولوجي من زاوية التفاصيل التشريحية ، وإنما يقدمها بالإشارة والرمز والمجاز أو الاستعارة واللمحة

الخاطفة ، والعبارة التي تومض في العقل كبرق خاطف ، أنه يلقي بكلمة قد يفوت فهمها وتفسيرها علي معاصريها ، ولكنه يعلم أن التاريخ والمستقبل سوف يشرح هذه الكلمة علي معاصريها ، ولكنه يعلم ان التاريخ والمستقبل سوف يشرح هذه الكلمة ويثبتها تفصيلا :" سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم انه الحق " (فصلت /٥٣) [١٢] .

ولو التزم المؤلف بهذا المنهج لتحاشي كثيرا مما وقع من اتباع الآيات القرآنية للنظريات الحديثة التي توصل إليها داروين وابنشتين ، وليس العيب في فهم القرآن بهذه الصورة ، ولكن المشكلة فيما بعد هذين ، ماذا لو ظهر في الأيام القادمة شيء غير هذا ماذا نقول ؟ أيقصر القرآن عن هذه الاكتشافات أم يلازمها ويحاول آخرون تفسير الآيات طبقا للمستحدثات فيصبح القرآن تابعا متغيرا متقلبا ، إن منطلق الإجلال والاحترام للقرآن يجب أن يبدأ من النقطة التي أشار إليها مصطفي محمود ، وهو أن القرآن معجزة الله الخالدة التي ستظل متجددة لاتخلق من كثرة الفهم والترداد علي ألسنة العلماء والمفسرين ، ولذلك استخدم القرآن - كما ذكر مصطفي محمود نفسه - لغة الرمز والإشارة إلي القضية العلمية بشكل عام وبالإضافة إلي الآية التي ذكرها المؤلف آنفا ، فاننا يمكن أن نذكر آيتين أخريين : (قل انظروا ماذا في السموات والأرض وماتغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون)وكذلك قوله تعالي :(الله الذي سخر لكم مافي السموات

---

(١٢) القرآن محاولة لفهم عصري ط ٤ دار المعارف بمصر /٥٥ .

والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ماسألتموه وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الإنسان لظلوم كفار (ابراهيم /)

فتركيز الله علي كلمة "سخر" بتكرارها نشعر أنه أمر الهي بضرورة علم كل هذا حتي نتأكد في النهاية مما انتهت إليه الآية ، وهو (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) فمعرفتنا بهذه الأمور عنه العلم والنظريات والاكتشافات العلمية المتجددة بتجدد العصور والأزمان .

ومن الأدلة علي صحة مانراه للآية الكريمة : "ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين " (الأعراف/١١) يقول مصطفي محمود (وفي هذه الآية يحدد أن خلق الإنسان تم علي مراحل زمنية " للملائكة خلقناكم ثم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) والزمن بالمعني الإلهي طويل جدا (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) وفي مكان آخر (تعرج الملائكه والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة).

هذه إذن أيام الله ، وهي شيء كالآباء والأحقاب بالنسبة لنا ، فلذا قال الله خلقناكم ثم صورناكم ... ثم اكتملت الصورة بتخليق آدم فقلنا للملائكة اسجدوا لآدم.. معني هذا أن آدم جاء عبر مراحل من التخليق والتصوير استغرقت ملايين السنين بزماننا وأيامنا مقارنة بزمن الله الأيدي " وقد خلقكم أطوارا " ومعناها أنه كانت هناك قبل آدم صور وصنوف من

الخلائق أطوارا " ومعناها أنه كانت هناك قبل آدم صور وصنوف من الخلائق جاء هو ذروة لها [١٣]

وواضح من كلامه هذا أنه يحاول جاهدا أن يربط بين هذه الآيات وبين ماانتهت إليه نظرية داروين من النشوء والارتقاء ، مع أن معني الآية قد لاتحتمل هذا كله ، ولو تأمل ماجاء في القرآن في مواضع أخري لما حاول كل هذا الجهد فالقرآن يذكر قوله تعالي :(وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) ومعني هذا أنه لم تكن هناك صور عن السلالة التي يفسرها بأنه كانت هناك مرحلة متوسطة بين الإنسان وأشكال قبل آدم كان ذروتها ، ولما كان حديثه بعد والطين " ، هي سلالات عديدة متلاحقة كانت تمهيدا لظهور الإنسان المتفوق "ولعل هذا يؤكد تأثير الأفكار المسبقة عن نظرية النشوء والارتقاء في فهمه لآيات القرآن الكريم بالإضافة إلي التأثر بالفلسفة المثالية التي كانتا تري أن صورة الإنسان سبقت تكوينه المادي فهو قد خلق في ذهن الله تصورا ثم أنشأه علي هذا المثال الذي وضعه قبلا ، وهذا الكلام وذاك يوقع في محظور خطير وهي محاولة اقتحام عالم الغيب الذي سبق عالم المادة مع أن عالم الغيب سواء كان سابقا للإنسان أم لاحقا له بعد انقضاء الدنيا هو من اختصاص علم الله وحده .

---

(١٣) القرآن محاولة لفهم عصري /٥٨ .

هذه المزالق هي التي جعلت مصطفي الحديدي الطير في اتجاهات التفسير في العصر الحديث يضع هذا الجهد في اطار التفاسير المريضة " لما في بعضه من خطورة تباين النصوص ، وتفتح الطريق أمام الهدامين الذين يصرفون القرآن عن ظاهره ، لهوي في النفس ومرض في القلب ، فيحدثون ثغرات عميقة في الدين ، وهم يهرفون (أي يهزون) بما لايعرفون (١٤) .

ويبدو ان هذا الامر نتج عن التجربة التي خاضها مصطفي محمود في إطار الفكر المادي الإلحادي الذي عبر عنها بكتاب كامل هو "رحلتي من الشك إلي الإيمان" ، فبدأ يربط بين تصورات النص القرآني ، وبين المستحدثات العلمية للواقع المعاصر حتي يرد علي اتهام للقرآن بالقصور عن ملاحقة العصر يرد في صورة سؤال ماذا يقول القرآن في هذا الاختراع وهو السؤال نفسه الذي وجه إلي الإسكندراني عن إمكانية وجود ذكر للأحجار الفحمية في القرآن الكريم " وباطن السؤال اتهام حقيقي للذين بعدم الملاءمة مع الحياة العصرية التي يحياها ، وأظن أن هذه المقولة شائعة أكثر بين أصحاب الفكر المادي والماركسي وهم الذين روجوا لفكرة تخلف الدين عن ملاحقة العصر ومستحدثاته وبالتالي لم يعد صالحا له .

---

(١٤) مصطفي الحديدي الطير ، اتجاهات التفسير في العصر الحديث / ١٧ ط. مجمع البحوث الاسلامية / ١٩٧٥ .

هذه الروح هي التي جعلته يتحدث عن الجنة والنار بصورة غريبة لم نألفها في تفسيرات السابقين بل ولا نألفها نحن اللاحقين - إذ يذكر أن ذكر ملذات الجنة ونعيمها بل كانت سببا في انصرافه عن الدين واتهامه للصورة القرآنية بالسذاجة لأنه ربطها في بادىء الأمر بالتصور البشري الساذج لهذه الاشياء ، وحينما أراد أن يتخلص من هذا التصور فسرها علي أنها أمثلة تقريبية ذكرها الله لهؤلاء البدو حتي يقرب الصورة من أذهانهم ويرغبهم فيها ، مع أنها ذكرت في القرآن في مجال الإخبار وتكرار ذكر ملذات الجنة في القرآن بهذه الصورة من النعيم نوع من المكافأة لمن حرموا علي أنفسهم متاع الحياة الدنيا ابتغاء مرضاة الله ، فاذا كان سنده هنا أن الآية صدرت بكلمة "مثل" فما قوله فيما جاء في سورة الواقعة علي أنه إقرار حقيقي بما تحتويه الجنة من النعيم بقوله تعالي " والسابقون السابقون ، أولئك المقربون ، في جنات النعيم ، ثلة من الأولين وقليل من الآخرين علي سرر موضوعة متكئين عليها متقابلين ، يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين لايصدعون عنها ولاينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون) ثم يتبعها بحديث عن النعيم الذي ينتظر الفريق الثاني من أهل الجنة ، وهم أصحاب اليمين ، وكلها جاءت في صورة إخبار حقيقي من الله عز وجل وفي عبارة لاتحتمل التأويل أو الجدال حولها .

بقي أن نشير إلي مسألة مهمة وأخيرة في جهود مصطفي محمود التفسيرية وهي تأثره بالروح الصوفية وذلك أنه خاض تجربة أشبه بتجربة أبي حامد الغزالي الذي عبر عنها في كتابه "المنقذ من الضلال" والتي توازي

بالصوفية في موضوع "معمار القرآن" وحروف القرآن وكونها صورة ظاهرة تخفي ورا ءها صورة روحية ومضمونا عالي التأثير في النفس ، هذه الروح التي أسماها بالموسيقي الداخلية للقرآن تمس شغاف القلوب بمجرد طرقها للأسماع مما يجعل لسماع القرآن أثرا يفوق أثر قراءته وكتابته ، وخاصة من ناحية التأثير الروحي ، كما يتضح هذا التأثر في الفصل الذي خصصه في كتابه "من أسرار القرآن" للحديث عن "علم نفس قرآني" .

والحق أن حديثه عن الظاهر والباطن الذي عبر عنه بالصورة الظاهرة التي تخفي وراءها صورة روحية هو في حقيقة حديث المتصوفة عن القرآن ، ومن ثم أخذوا يفسرونه تفسيرا إشاريا وأحيانا باطنيا كما أن حديثه عن سماع القرآن وتأثيره الروحي في متلقيه ماهو إلا صدي لحديث المتصوفة عن السماع وأثره ، صحيح أن المتصوفة تحدثوا عن السماع بصورة عامة تشمل سماع القرآن أو الشعر أو غيره ، ولكن ناتج السماع هو حالة من الوجد تنتاب السامع وتدخله إلي عالمه الروحي ، وقد عبر عنها مصطفي محمود بالتأثير الروحي لسماع القرآن لأنه معني بأمره .

وفي النهاية فاننا بالرغم من اختلافنا مع مصطفي محمود في كثير من النقاط ، خاصة تلك التي حاول أن يجهد نفسه في استنباطها من القرآن ليجعله يوافق بعض النظريات الحديثة ، إلا أننا نقدم كل جهد في إطار موضوعي ، ولسنا نقف موقف القضاء إنما نعرض للظاهرة في صورتها العامة .

ملاحظات أخيرة :

بعد عرضنا لهذه الجهود التي قدمناها تحت عنوان "الاتجاه الفردي" نستطيع أن نؤكد إنها جهود فردية حقا ، فلم يكن لأي ممن قاموا بها انتماء لأي من المدرستين الكبيرتين ، وبالرغم من توافق بعض المقولات في ثنايا هذه التفاسير وبعض المقولات التي قامت بها المدرسة الاجتماعية إلا أنها في النهاية ظلت تعبر عن أراء هؤلاء المفسرين في إطار خاص .

وننتهي إلي عدة ملاحظات :

اولا : إن هذه الجهود جاءت بسيطة خالية من التعقيد المذهبي والفلسفي ، ومن ثم ابتعدت عما يمكن أن تقع فيه من مزالق مذهبية باستثناء محاولة مصطفي محمود التي أثارت حولها كثيرا من الاعتراضات والمناقشات .

ثانيا : إن معظمها جاء حول بعض أجزاء من القرآن ولم تتم إما لوفاة أصحابها كمحاولة الشهيد الشيخ حسن البنا وإما لقيام أصحابها بالقائها شفويا وعدم تمكن المريدين من تسجيلها ونقلها ، كمحاولة جميل غازي وإما لأن أصحابها أرادوا لها أن تكون حول موضوع محدد مثل محاولة البهي ومصطفي محمود .

ثالثا : إن كثيرا منها يغلب عليه طابع الاجتهاد بالرأي حتي وإن استعان كثيرا بمأثورات من الحديث النبري الشريف أو الحكايات الوعظية ، لأن أصحابها حاولوا أن يقدموا جهدا جديدا حتي ولو اقتصر هذا علي

الاجتهاد اللغوي ، وتمشيا مع روح العصر الذي كثر فيه الجدل والاختلاف والنقاش ، بل كثر فيه ادعاء الانتماء إلي هذا الدين وجرأة كثير من الشباب علي الزعم بأنهم صاروا دعاة ، فحاولوا أن يقدموا لهم تفاسير للقرآن الكريم ، وجدوا حاجتهم ماسة إليه بعد ماوجدوا بينهم وبين التفسير القديم أيا ماكانت نزعته فجوة كبيرة ، ولذلك جاءت تفسيراتهم أقرب إلي الجهود القديمة وقد طرحوها في صورة جديدة .

رابعا : لم تخل بعض هذه الجهود من اجتهادات متميزة وكان ذلك راجعا إلي العصر الذي قدمت فيه ، وهو عصر ثقافة جديدة .

خامسا : أفاد كثير من هذه الجهود من المستحدثات العلمية وكان بعضها يأخذها في إطارها الصحيح ، والبعض الآخر ينبع من حماس زائد لدي صاحبه ، منطلق من إيمان عميق وغيرة علي الدين فيأتي بنتيجة عكسية تماما ، ونظن أن هذا هو ماحدث مع محاولة مصطفي محمود .

سادسا : لم تكمل من هذه المحاولات تفسير القرآن كله إلا الجهد الذي قدمه محمد سيد طنطاوي بعنوان "التفسير الوسيط" والذي استقلت فيه كل سورة بجزء مجموعة من الصور إلا أنه كان مثلا للجمع بين مميزات التفسير القديم والجديد علي السواء .

وأخيرا فاننا لانستطيع أن نقول إننا أحطنا بكل الجهود التي بذلت في سبيل تفسير النص القرآني لأنها كثيرة وبرغم كثرتها فانها تكاد تكون متشابهة مع بعضها لدرجة يصعب معها التمايز ، وعلي سبيل المثال لا

الحصر لو نظرنا إلى التفسير الميسر لمحمد فريد وجدي لوجدناه لايختلف عن تفسير الجلالين الذي سبقه زمنيا بكثير (١٤) ، وتفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الله شحاته (وهو تفسير مازال يتوالى صدور أجزائه) لوجدنا تشابها بينهما وبين التفسير الوسيط الذي وضعه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، وكلها تفاسير لاتحمل اتجاها معينا أو ميزة معينة ، غير أنها تفاسير يمكن أن نطلق عليها صفة المدرسية لبساطتها ولطريقتها في التفسير التي وضعت من أجل متوسطي الثقافة ، كما لم نتناول في عرضنا تفسير الشيخ عبد الحميد كشك المسمى - في رحاب التفسير لأسباب :

اولا : لأنه لم يكتمل بعد ، وصاحبه حي يرزق ، مما يحتمل معه تغيرا في أي جزئية من جزئيات المنهج .

ثانيا : لانه يتشابه مع بعض النماذج التي قدمنا لها كتفسير الشعراوي ، وتفسير الإمام البنا بل وتفسير الإمام الدكتور عبد الحليم محمود ، وإن كان قد اختلف عنها في شيء فان نقطة الاختلاف الخاصة ببيان معاني المفردات أولا ثم التفسير ثم الانطلاق إلى قضايا يتحدث فيها من خلال كثير من المأثورات وهذا أيضا وارد في نماذج من التفاسير التي قدمنا لها .

وهناك أيضا التفسير الواضح لمحمد حجازي ، وهو يسلك نفس المنهج الذي يسلكه الوسيط وشحاته وفريد وجدي، وكذلك هناك التفسير القرآني للقرآن للطبيب الدكتور عباس الجمل وبالرغم من وضوح العنوان في أن المؤلف سيفسر القرآن بالقرآن ، مما نتوقع معه ايراد نصوص قرآنية تفسر الاية

أو تشرح مجملها أو تخصص العام منها ، أو تعمم الخاص أو تتوقع معه إيراد النصوص القرآنية في موضوع واحد ، إلا أننا نجد كثيرا من الآيات تفسر بالمأثورات وتراوح بين المناهج القديمة ، والمنهج العلمي الذي يبرز الإعجاز الكوني للقرآن الكريم .

وكذلك هناك كتاب البرهان في تفسير القرآن للامام آية الله الخوئي امام النجف بالعراق وهو تفسير تغلب عليه النزعة الشيعية ، كما أن جهد المؤلف فيه ينحصر في أغلب الأحوال في إيراد المأثورات القديمة التي غالبا ماتنسب إلي آل البيت أو إلي أئمة الشيعة القدامي وقليل منها هو الذي يرد عن الصحابة والتابعين متصلا إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم أو مرفوعا إليه .

ولاننسي أن نشير أيضا إلي كتاب صفوة التفاسير للدكتور محمد علي الصابوني الذي جمع فيه آراء كثير من المفسرين السابقين ، ولم نخصه بحديث مستقل لأنه في الغالب جمع لآراء من سبق في تفسير القرآن ، وقليلا مايكون لمؤلفه تعليق عليه يمثل إضافة أو خصوصية في المنهج أو الفكر .

وبعد ذلك هناك كثير من الجهود التفسيرية المتقطعة التي تناولت سورا بعينها لاستخلاص العظات والعبر منها أو لدراسة فنية البناء القصصي فيها وربما حظيت سورة يوسف بأكثر هذه الجهود ، وقد جاءت ايضا بعضها في صورة مقالات في المجلات الدينية أو في الصحف في مناسبات دينية ،بالطبع فان رمضان ينال منها النصيب الأكبر حيث تخصص معظم الصحف صفحة أو صفحتين يوميا للموضوعات الدينية ، ويحتل تفسير بعض الآيات جانبا ثابتا فيها .


الفصل الرابع
تيارات الفكر الإسلامي المعاصر
في مصـر

سبق أن أشرنا في مستهل الحديث عن التيار الاجتماعي في التفسير إلي ما أحدثه تفاعل الثقافة العربية المصرية مع الثقافة الغربية الوافدة نتيجة الاتصال الحضاري بأوربا الغربية من ظهور اتجاهات جديدة في الفكر الديني الإسلامي ظهر أثرها واضحا في تفسير القرآن بل في تفسير النصوص الدينية بشكل عام قرآنا وحديثا ومأثورات عن الصحابة والتابعين ، ومع مرور الزمن تكاثرت هذه التيارات وتمت بشكل يصعب حصره حصرا دقيقا ، ولكن بنظرة عامة يمكن أن ترسم خريطة لهذه التيارات وان كان يشملها إطاران واسعان هما : تيار عام وتيار خاص . ويتمثل الأول فيما قد يمكن أن نسميه تيار العامة ، ومثله الأعلي الأزهر ، وهذا التيار يمثل العامة والأغلبية من المسلمين ، الذين يسيرون في سلوكهم الديني علي مبدأ التقليد، الأحفاد عن الأجداد ، فان أشكل عليهم أمر فلابد من الرجوع إلي الأزهر كمصدر موثوق به وهادي، يميل إلي تيسير ا لقضايا الدينية عليهم ، وينخرط في هذا الاتجاه كل الطوائف الدينية السنية والصوفية فلا فاصل لدي العامة بين الشيوخ من هذا الاتجاه أو ذلك فالمتأمل لسلوك العامة يجده مزيجا من الفكر السني والكفر الصوفي فهم في صلاتهم وزكاتهم وصومهم وحجهم أهل سنة ، وفي سلوكهم العام يحبون أهل البيت ويشاركون المتصوفة في كل مناسباتهم واحتفالاتهم ، وهم مشاركون إيجابيون وليسوا سلبيين ، إذ يمدونهم بالعون المادي والمعنوي لإقامة هذه المناسبات .

ويعد الأزهر في نظر هذا التيار هو المثل الأعلي ، فان أفتاهم أحد بفتوي معينة يسألون : هل هو أزهري أم لا ؟ فان كان أزهريا قبلوا الأمر دون مناقشة ولا مناقضة ، وإن لم يكن أزهريا توقفوا في قبول رأيه أو فتواه

حتي يطمئنوا إلي سلامة ماقال ، فان اعترض علي قوله أزهري أيا كان موقعه رفضوا العمل بهذه الفتوي ، وهذا الشعور والاعتقاد عندهم ليس عفويا ولاغير مبرر بل إنه له أسبابه : اولا : أن الأزهر ميراث قديم ورثوا الاعتقاد به جيلا بعد جيل ، فعاش في أعماقهم حاملا مشعل الثقافة الإسلامية ، ورافعا رايتها وناشرا لها ، وصامدا أمام كل الهجمات الاستعمارية المتوالية التي لم تفلح في هدم صورته ، ومن ثم فهو رمز معبر عن صمود الفكر الاسلامي وثباته علي مر العصور ، واقترنت الصورتان في نظرهم الاسلام وريادة الأزهر ، وهي صورة مستمدة من أرض الواقع الذي ترسب في نفوس المسلمين جيلا بعد جيل .

أما السبب الثاني ، فيرجع إلي رحابة صدر الأزهر ، فهو بحكم موقعه الريادي هذا استوعب كل المذاهب الفقهية ، بل وكل التيارات الدينية ولم يختر المذهب الفقهي الذي يدرسه ، ولم يفرض علي طالب من طلابه أن يدرس فقها دون الآخر وإن رغب أحد طلابه في دراسة كل المذاهب فلا حرج عليه ، ساعد علي هذا وفرة الفقهاء والعلماء من كل مذهب ، ورغم هذا الطابع السني الشائع ، لم يحظر الأزهر دراسة التصوف ، بل فتح الباب أمام هذه الدراسة للطلاب ، ليس هذا فقط بل خرج من تحت قبته شيوخ لهم باع في التصوف وصلوا إلي قمة الأزهر وأصبحوا شيوخا له قديما وحديثا مثلهم في ذلك مثل من كانوا ينتمون إلي المذاهب السنية الأخري ، من أمثال الشيخ شمس الدين الحفني قديما ، والدكتور عبد الحليم محمود حديثا رحمهما الله وأجزل لهما العطاء بقدر ماقدما للإسلام والمسلمين ، خاصة الأخير الذي وقف في وجه سلطة الدولة السياسية التي حاولت أن تخضع الأخير ليوافق علي ماتراه حتي وإن كان مخالفا للشريعة الإسلامية .

هذه الصورة التي تعكس رحابة صدر الإسلام ، وحرية الاعتقاد فيه ساهمت بشكل فعال في اعتقاد العامة في الأزهر ، يضاف إليها قيادة الأزهر لحركة التعليم في عصور الظلام والجهل ، فكان الجهة الوحيدة التي يلجأ إليها طالب العلم ، ليس من مصر وحدها بل من جميع البلاد الإسلامية ، ومازال بالأزهر رواق الشام (أي الطلاب من بلاد الشام ، سوريا ولبنان وفلسطين والأردن) ورواق المغاربة (بلاد المغرب العربي ، ليبيا ، وتونس ، والجزائر ومراكش) ورواق الأتراك وغيرها من الأروقة التي تحمل اسم بلادها ، والتي كان يعيش فيها طلاب العلم من أهل هذه البلاد معيشة كاملة به في أثناء فترة تلقيهم العلم فيه .

ولم يقف دور الأزهر عند هذا الموقف التعليمي ، بل تعداه ليلعب دورا سياسيا في بعض العصور ، ولعل أخطر هذه المواقف ذلك الموقف الذي نتج عنه تولي محمد علي سلطة مصر علي الرغم من السلطان العثماني الذي كان يعارض ذلك ، وإن كان محمد علي قد تنكر لهم في النهاية وأزاحهم من طريق السلطة حتي لايقفون عقبة في طريق الأمل الذي كان يراوده بتكوين الامبراطورية المصرية التي كان يحلم لها ، ولم يقف دوره السياسي عند هذا الحد بل استمر علي فترات متباعدة حينما كان يتولي مشيخته أحد العلماء البارزين الذين كانوا يرفضون الانصياع للقرار السياسي ايا كان مصدره ، وخاصة حينما يتعلق القرار بأمر يخص مسألة الشريعة ، أو يخص مسألة دينية حيوية وليس أدل علي ذلك من الموقف الذي وقفه الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر من قانون الأحوال الشخصية ، ورفض أن يوافق عليه ، ولم يخرج القانون إلي النور إلا بعد وفاته .

ثانيا : التيار الخاص :

ونعني به ذلك التيار الذي يقوم فكره الديني منطلقا من رؤية خاصة ويشمل هذا التيار فرعين : فرعا معتدلا يتمثل في النزعة العلمية الحديثة ، وفرعا حاد الاعتقاد في فكرة و سلوكه ونتناول كل فرع علي حدة .

١ - الفرع المعتدل :

وهو الذي ينطوي تحت لوائه العلماء المتدينون ، أو المتدينون المهتمون بابراز الإعجاز العلمي والكوني في القرآن الكريم ، ويبدو أن منحاه العلمي كان له دور في تهذيب مسلكه وجعله معتدلا ، وهذا الاتجاه أيضا له محظوراته ، وخاصة أن به مزلقا خطيرا يقع فيه كثير من المهتمين بهذه القضية ، فيبدو حديثهم في هذا الاتجاه من منطلق خطير نربأ بالدين والقرآن أن يوصف بهذا ، هذا المنطلق هو الدفاع عن الدين أمام الهجوم الشرس للمستحدثات العلمية ، وكأنهم يعودون بنا إلي الوراء نحو أكثر من ألف سنة حينما حدثت الزندقة ، وكثرت آراء المتطاولين علي الاتجاه النقلي أو السلفي فامتد هجومهم إلي الدين ، وأنه لايطاول المنحي الفلسفي في إثبات الآلوهية وغيرها عن طريق العقل ، وتصدي للتوفيق بين المنحي العقلي والنقلي أعلام وفلاسفة كبار .

وقد ظهرت في العصر الحديث ، وخاصة في القرن العشرين بعد انتشار الفكر المادي وجدلياته - صيحات وآراء تتطاول علي الدين وتصفه بالجمود والتخلف وأنه مناسب لعصر بعينه ، ولايتناسب وهذه الثورة العلمية في

النظريات والمخترعات ، وكان لهذا الهجوم أثره في ظهور هذا الاتجاه وخاصة المهتمين بالدفاع عن الدين ، وإذا اسلمنا بحسن النوايا ، فانه لايكفي في مثل هذه الأمور عظيمة الخطر والأثر معا ، لانه يجب التسليم مبدئيا بأن الدين لم يكن ولن يكون في موقف الدفاع ، فالدين عقيدة واسلوب حياة أو هو فلسفة عامة للكون تثير وتدعو وتبصر ولكنها لاتهتم ولاتعني بهذه الجزئيات والا صارت وقتية ، وليس الدين وقتيا والدليل علي ذلك أن الديانة اليهودية تعيش في العالم رغم تعاظم امر الديانة المسيحية ، وهي الأخري تعيش رغم انتشار الدين الإسلامي ، وتكاثر المهتمين به والمعتنقين له يوما بعد يوم ، وعلي هذا كان أثر هؤلاء المدافعين لايقل خطرا عن المتهمين للدين بعدم مواكبته لظروف الحياة والتكنولوجيا العصرية ، إذ يتضمن موقفهم هذا إقرارا بالتهمة ذاتها ، مع أنه من الضروري نفي التهمة بأثبات تعالي الدين عن الخوض في جزئيات ودقائق الأشياء .

وقد كثرت الكتابات في هذا الأمر حتي أصبحت أكثر من أن تحصي سواء كان الحديث منفردا عن قضايا علمية في القرآن الكريم ، أو حديثا ضمنيا في أثناء تناول قضية من القضايا أو تفسير عام ، وسواء جاءت محاولة الدفاع عن القرآن في كتب مستقلة أو في مقالات صحافية ، في الصحف والمجلات العلمية والدينية ونذكر علي سبيل المثال في هذا الصدد الكتاب القيم الذي انطلق من هذه المقولة - علي الرغم من أنه تجاوزها إلي آفاق أرحب - وهو كتاب كشف الأسرار النورانية للشيخ الطبيب محمد بن أحمد الاسكندراني من علماء القرن الماضي إذ أنه يبدأ فيه من سؤال بعض الاطباء المسيحين له ، هل توجد إشارة في القرآن إلي الفحم ؟ لأنهم بحثوا

في الكتاب المقدس فلم يجدوا شيئا من هذا ، وكان رده بهذا الكتاب الذي توسع فيه ليتناول كل ماجاء في القرآن خاصا بالمسائل الكونية كلها .

وتنبع خطورة هذا الاتجاه من أمرين - وذلك بالاضافة الي ما قلناه من أنه اقرار بقصور القرآن عن مواجبة العصر - الأمر الاول ، ربط النص القرآني باجتهادات بشرية ، أبسط ماتوصف به بأنها متطورة ومتغيرة ، وذلك مثل فكرة كروية الارض ، ثم بعد ذلك ببيضاوية الأرض فقد خرجت النظرية الاولي تقول ان الأرض كروية ، وحاول هذا الفريق أن يثبت أن القرآن قال بذلك ، وبعد صعود الانسان الي الفضاء والقمر تبين للعلماء أن الأرض بيضاوية ، فقال هؤلاء العلماء إن القرآن قال ذلك حينما قال (والارض بعد ذلك دحاها) وهي نفس الآية التي حاولوا أن يثبتوا بها كروية الأرض ، وهذا مثال علي التقلب والتطور في الأفكار والنظريات ، ومن ثم تظهر خطورة ربط النص بمثل هذه الاجتهادات البشرية المتطورة والمتغيرة فتضيع قدسية النص وهيبته وتأثيره الديني في نظر المؤمنين به .

الأمر الثاني :

التعسف مع النص القرآني بمعني إخضاعه « لمفهوم القاريء » والمفسر للنص ، وهو مايمكن أن نطلق عليه لوي عنق النص لصالح المذاهب البشرية ، وهو أمر لايتفق وجلال النص القرآني ، إذ إنه أعظم من أن يخضع لمفهوم بشري لأنه جاء منارة لهذا العقل البشري ومثيرا له لكي يعمل ويجد ويجتهد في فهم الحياة وسبر أغوارها ، وليس خاضعا لما يكتشفه الإنسان فيها نتيجة جهوده المستمرة للتعايش معها .

أما الفريق الثاني من العلماء فقد انطلق من المنطق الصحيح وهو أن النص القرآني جاء شاملا وعاما يدعو الانسان إلي السعي والبحث والتنقيب في الطبيعة والتأمل في الكون ، ومن الطبيعي أنه كلما اكتشف جديدا ازداد ايمانا بالله وقدرته وابداعه في الكون ، وليس بالضرورة أن يتضمن النص القرآني تفصيلا لهذا الاكتشاف اذ يكفي أن يشير القرآن بقوله " إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب إلي ضرورة أن يسعي الإنسان لاكتشاف هذه الآيات من خلال بحثه في السماوات والأرض بكل مافيهما من معجزات ، وإذا نظرنا إلي كل ماتوصل إليه الانسان من نظريات ومنجزات في الفضاء وفي الأرض لنجده جزءا يسيرا مما تشير إليه هذه الآية الكريمة ، وبالتأكيد سيظل في المجال فسحة ومتسعا لأشياء قد يكتشفها اللاحقون ، فمن كان يظن في العصور السابقة أن يعرف ماعرفه إنسان عصرنا الحاضر عن الكون والفضاء وماتحتويه الأرض من أسرار .

ولايمكن في هذه العجالة السريعة أن نقف علي كل ماأنتج من مؤلفات في هذا المجال إذ تكفي لبحوث كثيرة لأن الميدان فسيح والانتاج فيه وفير وقد تكونت جمعية حديثة تسمي بجمعية الاعجاز العلمي في القرآن كتتويج لهذه الجهود ، وجمع لشمل المهتمين به لتصبح علاقة علي نضج هذا الاتجاه وقمة لتطوره .. ونأمل أن يكلل الله جهود القائمين علي أمرها بالنجاح وأن يهديهم الطريق ا لصحيح .

٢ - الفرع الثاني :

هو فرع التيار الخاص ، وهو الاتجاه الذي يغلب علي منزعه طابع الحدة في الاعتقاد قولا وعملا ، وهو تيار يحاول الافادة من كل الاتجاهات السابقة في تقويم سلوك الحياة من خلال الدين ، وهو اتجاه ينطلق من مبدأ أساسي وهو أن الدين دستور شامل للحياة وليس عقيدة نظرية تقدم علي بعض المفاهيم وتطبق ببعض العبادات ، ولكنه عقيدة شاملة للعبادة ولكل فروع الحياة جاء لهداية الناس دنيا وآخرة ، يوصلهم للآخرة عن طريق صلاح الدين ومن ثم غلب عليه طابع الاصلاح .

والحقيقة ان لهذا التيار جذورا ترجع إلي القرن الماضي ، فيري الدكتور محمد عمارة في كتابه " تيارات اليقظة الإسلامية الحديثة " أن اليقظة الإسلامية التي بدأها جمال الأفغاني وتلميذه الإمام محمد عبده ليست وليدة وقتها وإنما بدأت بثلاث حركات قامت بإحياء الصورة الإسلامية القديمة ، وهي الوهابية في السعودية والمهدية في السودان والسنوسية في المغرب العربي ، لقد كان جهد جمال الدين الأفغاني ثمرة تفاعل هذه الحركات وجهودها في نفض غبار الجهل الديني عن عقل الأمة الاسلامية والذي كان سببا في هذا التخلف والضعف مما جعل ا لأمة ترضخ تحت نير الاستعمار التركي تحت عباءة الإسلام ، ثم بعد ذلك تحت الاستعمار الانجليزي ، ومن هنا ارتبطت فكرة الإصلاح الديني بالجهاد العسكري والسياسي .

وانطلق الأفغاني يجاهد الضعف والسيطرة العثمانية علي العالم الإسلامي والتي كانت سببا في الاستعمار الغربي ، وحورب كثيرا في هذا الأمر ، ونفي من بلده إلي مصر فقابل الإمام محمد عبده الذي تبني فكره وآراءه، وإن كانت الدائرة عند محمد عبده قد اتسعت أكثر لينادي باصلاح شامل لكل نواحي الحياة ، وقد بدأها بالأزهر مما أحدث صداما بينه وبين شيوخ الأزهر الذين كانوا يصرون علي بقاء الطرق التقليدية في التعليم وهي الطريقة التي تضمن بقاء مكانتهم وبقاء هيبتهم .

ويمكن القول بعدئذ أن امتزاج الإصلاح الديني بالسياسي ليس وليد الوقت الحاضر بل إنه يرجع إلي محاولات الإصلاح الأولي التي بدأت منذ جاب الأفغاني البلاد الإسلامية داعيا إلي النهضة والصحوة من أجل التحرر علي المستوي الفكري لأنه الطريق الصحيح إلي الحرية السياسية والإجتماعية ، فاذا تحرر الفكر عرف الناس حقوقهم ، وأصبحت للحياة عندهم قيمة ، وليست مجرد حياة حيوانية تقوم علي الطعام والشراب ، وإذا أحس الفرد بقيمة الحياة وبدوره فيها صار لديه مبدأ يدافع عنه ، وكل هذه المبادىء دعا إليها الإسلام حينما حارب الجمود والتقليد ووصفه وصفا خطيرا يقول تعالي حكاية علي لسان إبراهيم "ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ، اذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ، قال لقد كنتم وآباؤكم في ضلال مبين " (الانبياء / ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤) ، وهكذا كان الوضع مع رسول الله محمد صلي الله عليه وسلم حين جاء ليحارب هذا الجهل الذي كان فيه قومه وأهله ، وكان دائما يدعوهم إلي إعمال العقل والتفكر في الملكوت وخالقه

ويدعوهم إلي تصحيح أوضاعهم من خلال فهم آيات القرآن الكريم وإعمالها في حياتهم اليومية لتصلح وتتحقق سعادتهم في الدنيا والآخرة.

وبعد نقل جمال الدين الأفغاني إلي العاصمة التركية ليكون تحت الرقابة المشددة وهنا نلمح بداية التدخل السياسي في محاربة الإصلاح الديني مما كان له أكبر الأثر في امتزاج الإصلاح الديني بالاصلاح السياسي ، وقد حدث الأمر نفسه للإمام محمد عبده فقد نقل هو الآخر إلي الآستانة مع أستاذه الأفغاني ، وقد أخذا وهما في منفاهما في إصدار العروة الوثقى ، ويبدأ فيها الحملة الإصلاحية التي شاركهما فيها عبد الرحمن الكواكبي فنادوا بالديمقراطية التي تنطلق من مبدأ الشوري الإسلامية ، وحاربوا الاستبداد ، كما طالبوا بمحاربة الفساد أيا كان مصدره ، حتي ولو كانت السلطة الحاكمة التي يجب أن تكون قدوة مما سبب لهم صداما مع الحكم ، ومن هنا يمكن القول بأن الصدام بين السلطة وتيارات الإصلاح الديني قديم .

وانخرط الناس في أوائل هذا القرن تحت راية واحدة هي التحرر الوطني ، وكان للإمام محمد عبده وتلاميذه دور بارز في إزكاء روح التحرر ، وأثمرت الجهود المتواصلة عن هذه المشاركة الشعبية الرائعة في ثورة ١٩١٩ والتي نتج عنها الاستقلال السياسي ومهما كان استقلالا اسميا إلا أنه لأول مرة يبرز إحساس الإنسان بقيمته في الحياة والإقرار سواء من الاستعمار أو السلطة الحاكمة بدور الطبقات المتوسطة في المشاركة في الحكم ، وذلك بعد أن تولي سعد زغلول رئاسة الوزارة وصدر دستور ١٩٢٣ الذي يعد أول دستور حقيقي في تاريخ مصر الحديث .

وكان من أخطر نتائج تلك الثورة هذه القفزة الكبيرة في الحرية التي تجلت في تكون الأحزاب السياسية ، والتي واكبتها قفزة رائعة علي المستوي الفكري فبعد أن كان الأزهر هو منارة التعليم الوحيدة في مصر ، شاركته الجامعة المصرية التي ولدت ناضجة بعد فترة من النمو تحت اسم الجامعة الاهلية التي دعا إلي إنشائها مصطفي كامل ، وفي هذه الفترة أيضا ظهر رواد التنوير وبدأ طه حسين والعقاد ومحمد حسين هيكل يقومون بدورهم في تكوين مدارس فكرية شاركهم فيها كثير من تلاميذهم ، وظهرت المدارس ا لأدبية .

وقد واكب هذه النهضة الفكرية الأدبية نهضة إسلا مية تمثلت في تلاميذ الامام محمد عبده في الأزهر ، وقد وصل بعضهم إلي مناصب شيوخ الازهر كالشيخ مصطفي المراغي ومن بعده الشيخ محمود شلتوت ، وبدأت جهود الإمام في إصلاح الأزهر تظهر ، وأخذ كثير من طلاب الأزهر يتوجهون إلي التعليم المدني وخير مثال علي ذلك طه حسين ، وغيره كثير ممن التحقوا بكلية الآداب وبمدرسة دار العلوم العليا فجمعوا بين الثقافتين الأزهرية القديمة ، والدراسات الأدبية الحديثة .

في تلك الأثناء بدأت الانتماءات الفكرية تظهر ، وبعد مااتصل الفكر العربي بالفكر الاشتراكي ، أخذت الاتجاهات تتحدد ، وظهر الفكر الاشتراكي علي ساحة الفكر بجانب الكلاسيكي والرومانسي ، بل ظهر الحزب الشيوعي المصري ، وفي مقابلته بدأت جماعة الإخوان المسلمين في النمو ، هذه الجماعة التي قام علي تكوينها مدرس تخرج في مدرسة دار

العلوم ، وعين للتدريس في تلك المدينة الصغيرة (الاسماعيلية) فألف حوله مجموعة من الزملاء والإخوان سنة ١٩٢٦ ، وأسسوا جماعة الإخوان المسلمين التي سرعان ماانتشرت فروعها في معظم مدن وقري مصر ، وقد ساعد علي انتشارها سماحة دعوتها وبساطتها وذكاء القائمين عليها بعدم جمودهم وتزمتهم ، وعدم الحدة في هدم معتقدات وسلوكيات العامة التي سبق أن أشرنا إلي أنها مطبوعة بطابع التصوف فكان منهجهم في تهذيب هذه السلوكيات منهجا سمحا يجذب ولايطرد ، يقرب ولاينفر ، ولذلك تأثر معظم الناس حتي العامة منهم بها ، وسرعان ماانضموا تحت لوائها .

ونتيجة للظروف السياسية التي عاشتها البلاد في الأربعينات بسبب الحرب العالمية الثانية ، والفساد السياسي للملك وحاشيته ، والدور السلبي للأحزاب بدأ دور الجماعة يتسع ، ، وأخذت تشارك في حملة التطهير ، وفي النضال السياسي من أجل الاستقلال الخاصة بعدما خانت بريطانيا عهدها الذي أخذته علي نفسها بمنح البلاد الاستقلال بمجرد إنهاء الحرب كمكافأة للمعاونة ضد الالمان ، ولكن سرعان ماحدث الصدام بين السلطة وجماعة الاخوان المسلمين ، بعدما أظهرت مشاركة فعلية في جهاد الإنجليز وتبعية الملك لهم وبعد ذلك في معركة فلسطين ذلك النظام الذي كان من نتيجته اغتيال زعيمها ومؤسسها الشيخ حسن البنا سنة ١٩٤٨ ذلك الحدث الذي كان له أكبر الأثر في نفوس مريديه وتلاميذه فاتصلوا بحركة الجيش السرية التي كانت تخطط في ذلك الوقت للإطاحة بالملك فاروق ، وهو التنظيم الذي عرف فيما بعد بتنظيم الضباط الأحرار ، وكان الاتصال قويا لدرجة أن أبرز زعماء حركة الجيش كانوا أعضاء في الجماعة .

ثم قامت الثورة ، واستبشر أعضاء الجماعة خيرا بقيادة الشيخ الهضيبي تلميذ الشهيد حسن البنا والذي تولي قيادة الجماعة بعد مقتله ، ولما استشعرت القوي المضادة للثورة والتحرر مدي مايمكن أن ينتج عن تحالف الثوار مع الإخوان دبرت هذه القوي مؤامرة تهدف إلي إحداث صدام بين الطرفين لتفتيت وحدتهما ، وبالتالي يسهل عليها ضرب الفريق المنتصر في هذا الصدام ، وهو تخطيط ذكي حقق هدفه في النهاية بعد حادث المنشية في الإسكندرية سنة ١٩٥٤ ، ولكنه لم يحقق الهدف النهائي بضرب الثورة في مهدها ، صحيح حدثت تجاوزات من جماعة الضباط القائمين علي ا لأمر في ذلك الوقت ، وكانت تجاوزات دامية أدت إلي سجن واعدام مجموعة من زعماء الجماعة ، إلا أن تلك القوي لم تتمكن من الاجهاز علي الثورة لسبب واحد يبدو بسيطا ولكنه في حقيقته كان كبيرا ، إذ احتضنتها الجماهير المتعطشة إلي الحرية ونفض العبودية ودافعت عنها بصرف النظر عن أخطائها في هذا المجال ، فلم يعد الامر مجرد رغبة من الضباط في البقاء علي كراسي الحكم بقدر ماكانت رغبة شعبية في عدم عودة النظام الملكي القديم بكل رواسبه السيئة في نفوس الشعب ، هذا الأمر زاد من سلطة رجال الثورة، ثم توالت الأحداث السياسية التي ساعدت علي تدعيم النظام الحاكم وتم حل جماعة الإخوان المسلمين علي ا لمستوي الرسمي ، وألقي عدد كبير من رجالها في السجون ، ولكن هذا لم يقض علي التعاطف الشعبي مع الجماعة ، فبدأ الباقون من أفرادها أحرار في العمل ا لسري ضد النظام الحاكم وعادت دعوات الإصلاح الديني تمتزج با لاصلاح ا لسياسي ، وإن اختلطت هنا بنوع من العمل ليتحقق الجهاد من أجل التغيير في صورة فعلية .

وفي تلك الأثناء برز اسم الشهيد سيد قطب وأخوه محمد قطب علي ساحة الأحداث بعد أن بدأ ينشر كتبه الإسلامية التحررية والتي أخذت تصب جام غضبها علي الحكم والمجتمع الذي يرضي به ، وظهرت في أجواء الفكر مصطلحات الحاكمية والجاهلية ، وفي الحقيقة لم يكن سيد قطب منتميا إلي جماعة الإخوان كما ذكر الكاتب عادل حمودة في كتابة "سيد قطب من القرية إلي المشنقة" وهو كتاب وثائقي يحكي بالوثائق تاريخ الإمام الشهيد" وإنما ظهر اسمه بعدما قبض عليه أول مرة في الخمسينات وظهر عدم انتمائه الرسمي إلي الإخوان وإن كان فكره يتفق مع فكر الجماعة ، بل كان أقسي في حملته علي النظام من فكر الجماعة نفسها ، وبدأ زعماء الجماعة السرية الاتصال به لتولي قيادة الجماعة في أوائل الستينات ، وإن كان ذلك لم يلبث كثيرا حتي حدث الصدام الثاني والعنيف الذي كان من نتيجته حملة عسكرية واسعة النطاق ضد كل من ينتمي إلي هذه الجماعة أو له صله بها والتي راح ضحيتها الشهيد سيد قطب في سنة ١٩٦٥ ، وبقي كثير من أفراد هذه الجماعة في السجون حتي منيت البلاد بالهزيمة سنة ١٩٦٧ ، فبدأ جمال عبد الناصر في الا فراج عن كثير من المسجونين منهم ثم توفي سنة ١٩٧٠ وتولي مقاليد الامور من بعده أنور السادات .

وبعد صدام أنور السادات مع بقايا نظام عبد الناصر فيما سمي بثورة التصحيح أو حركة مايو سنة ١٩٧١ شرع السادات في الإفراج عن المعتقلين السياسين وكان في مقدمتهم الإخوان المسلمون الذين كان معظمهم مايزال في السجون ثم سار أنور السادات في تنفيذ سياسته بارساء حرية التعبير وفتح باب الديمقراطية الذي ظل مغلقا زمنا طويلا ، صحيح أنه لم يكن فتحا

كاملا ، بل كان موارية محسوبة ومحكومة ومراقبة من جهاز الحكم بمعني أنها كانت ديمقراطية مقيدة لصالح النظام الحاكم فكثيرا ما سجن أناس كثيرون بسبب تعبيرهم عن آرائهم حينما كانت تتعلق بشخصية الحاكم ونظامه ، وكان وضع هذا النظام محيرا فهو يعلن عن تطبيق الديمقراطية ويعاقب كل من ينجرأ علي نقده وليس أدل علي ذلك من هذا القمع البشع لمظاهرات الطلاب والعمال قبل حرب التحرير في أكتوبر ١٩٧٣ وبعدها ، وبالرغم من كل ذلك فان روحا جديدة بدأت تدب في الحياة خاصة أن النظام بدأ يسمح بالممارسة الدينية دون خوف ، وظهرت الجماعات الإسلامية ، وبدأ نوع من العمل الإسلامي ينتشر بين الشباب سواء في الجامعات وفي العمل ولم يمح خروج الا خوان من السجون مرارة التعذيب الذي لاقوه ، بل كان لهذا القهر السلطوي أثر في تحويل هذا الاختلاف وهذه الرغبة في الإصلاح من مسارها المتمثل في الدعوة إلي الإصلاح عن طريق الكلمة والدعوة إلي المناداة بحمل السلاح والجهاد ضد الفساد السياسي وكانت الأرض في ذلك الوقت خصبة لنمو أفكار الشيخ سيد قطب الحادة بضرورة محاربة الجاهلية، واستبدال الحاكمية بهذه السلطة الجاهلية الظالمة، وتعبر الأحداث التي حدثت تباعا في السبعينيات وما زالت تحدث حتي الآن عن سيطرة هذا الفكر علي عقول الجماعات الدينية التي تكونت بعد ذلك.

وساعد علي إزكاء هذه الروح أيضا اتصال هذه الأفكار بالروافد الإسلامية الاتية من الهند وباكستان ،خاصة أفكار أبي الأعلي المودودي التي لم تكن تقل حدة عن أفكار سيد قطب، وكذلك أفكار أبي الحسن الندوي التي وصلت إلينا نتيجة تلك المسحة من الحرية التي ظهرت في السبعينيات[1].

وما إن حانت الفرصة للجماعات الدينية التي ظهرت في السبعينيات كامتداد لحركة الإخوان المسلمين، أو بديل لها وحينما نقول امتدادا فإننا نقصد أن هذه الجماعات قامت علي أسس فكر الجماعة الأصلية لأنها كانت تهدف أيضا إلي التعبير ولكن بأسلوب مختلف تماماً يوضحه مرشدها الأول الشهيد حسن البنا في أحد أحاديث الثلاثاء، وبعنوان " واجبنا نحو القرآن" والذي ينتهي فيه إلي ضرورة أن ننصح الدولة للعمل بكتاب الله وخاصة في شق الأحكام الذي يتعلق بالمجتمع يقول: "علي الأمة أولا أن تتحد، علي الأمة أن تجمع كلمتها وتطالب وتلحف في الطلب وأن تتخذ في هذا كل سبيل.."[2]. وقد بقي هذا الامتداد الأصيل للجماعة في أعضائها الذين خرجوا من السجون وظلوا علي طبيعتهم الهادئة وروحهم السمحة، إلا أن الجماعات الأخري التي نبتت علي اكتاف بعض جذور الجماعة غلب علي روحها طابع الانتقام، وأغلب الظن أنها لم تكن ترمي فقط إلي الإصلاح السياسي من خلال الإصلاح الديني، بل كانت تتبني فكرة الإنتقام من النظام الحاكم،وكانت هذه الفكرة تنبع من إحساس بالظلم الذي تعرضت له،

---

(١) راجع د. رفعت سيد أحمد / الحركات الإسلامية في مصر وايران ، الطبعة الأولي / دار سينا للنشر سنة ١٩٨٩ ص٨٢

(٢) حسن البنا ، حديث الثلاثاء، ص١٧ .

ذ السلطة القائمة علي الرغم من أنها تنبت فكرة الحريات وفتحت أبواب السجون ليخرج منها المظلومون، إلا أن الحقيقة المؤكدة أنها، هذه السلطة، كانت جزءا من النظام الذي نكلّ بأئمة الجماعة، ولا غرو فرئيس النظام الحاكم كان رئيس السلطة التشريعية في النظام السابق عليه، أي أنه كان جزءا منه، وبالتالي فلا حرج من أن يتحمل بعض تبعات أخطاء الحكم السابقة مهما كانت الصورة التي هو عليها الآن، والانتقام منه يريح النفس إلي أنها ردت بعض العدوان وبعض ماذاقته من أهوال في الفترة السابقة.

وقد بدأت الفكرة هادئة، والصيحة بدت متوسطة الأداء، ولكن مالبثت أن عبرت عن كرامنها، صحيح أنها لم تكن الأولي من نوعها في المطالبة بالعنف كرد علي أسلوب النظام الحاكم، ويرجع بعض المؤرخين حادث المنشية إلي مجموعة "شباب محمد" المنشقة عن جماعة الإخوان المسلمين لمطالبتهم بانتهاج أسلوب العنف، ثم ظل نبيل البرعي أحد الشبان المسلمين الذين خرجوا من السجون سنة ١٩٥٨ وكانوا أعضاء في جماعة الإخوان لكنه ثار علي المنهج السلمي الذي تنتهجه الجماعة عبر تاريخها الطويل، وتأثرت هذه الفرقة بأفكار ابن تيمية التي توصي بضرورة استخدام العنف لبسط سلطان الشريعة الإسلامية، ونظن أن هذه كانت نقطة انطلاق لنشر أفكار ابن تيمية الأصولية والحادة تجاه تغيير المجتمع والتي يتبناها معظم الجماعات القائمة حتي الآن، وقد ضمت هذه الجماعة مجموعة من الشبان الذين كان لبعضهم دور فيما بعد في اهم وأخطر الأحداث مثل علوي مصطفي[٣].

---

(٣) في فتاوي إبن تيمية يوصي بأحد أمرين للعاص والذي لايطبق أحكام الشريعة بأن يستتاب وإلا قتل ، والحق أن أفراد هذه الجماعات أخذوا الشق الثاني من الفتوي ولم يأخذوا الجزء الأول فقد فتح باب الاستتابه أولا ، أما هم فقد حكموا مباشرة علي النظام والناس بالجزء الثاني ونفذوه .

تنظيم الفنية العسكرية: وقد ظهر في سنة ١٩٧٣ بقيادة الدكتور صالح سرية وهو أحد الشبان الذين كانوا منضمين الي الأخوان المسلمين، وانضم اليه حسن الهلاوي الذي كان يقود مجموعة الجيزة في التنظيم القديم، وقامت هذه المجموعة بهجوم علي الكلية الفنية العسكرية وكان من جراء هذا الهجوم القبض علي الدكتور صالح سرية وأعضاء الجماعة واعدم زعيمهم في سنة ١٩٧٥، وانتهي هذا التنظيم بعد ذلك وان بقيت له ذيول.

جماعة التكفير والهجرة: وتمتد جذورها إلي سنة ١٩٦٩ حينما مثل شكري أحمد مصطفي ومعه ثلاثه عشر شابا من الإخوان أمام اللواء حسن طلعت مدير مباحث أمن الدولة فقال شكري له "أرفض الحوار معك لأنك كافر وحكومتك كافرة"، وبعد خروجهم من السجن كونوا الجماعة التي عرفت بهذا الاسم فيما بعد وظهر اثرها واضحا علي بعض الشباب إذ قام منهجهم علي اعتزال المجتمع والهجرة حتي تتم لهم أسباب التمكن من فرض سلطانهم وأفكارهم، وكان أخطر أعمالهم أو بعبارة أخري أخطر الأعمال التي نسبت إليهم مقتل الدكتور محمد حسين الذهبي وزير الأوقاف في منزله بحدائق حلوان في يوليو ١٩٧٧ بالرغم من أن إنتاج الرجل فكريا كان سنيا قريبا من الفكر الأصولي، ويشهد بذلك كتابه العظيم (التفسير والمفسرون)، ولكن يقال إن الرجل كان قد نشر مقالا أو كتيبا يهاجم فيه فكر الجماعة، وكانت النتيجة أن قبض علي أعضاء الجماعة وأعدم شكري مصطفي وأربعة من زملائه ستة ١٩٧٩.

جماعة الجهاد: أخطر هذه الجماعات الإسلامية العنيفة كانت جماعة الجهاد التي ظهرت أول مرة سنة ١٩٧٣ عندما انشق علوي مصطفي عن تنظيم الشباب بقيادة نبيل البرعي، وقد انضم إلي علوي مصطفي الملازم عصام القمري الذي أصبح فيما بعد أخطر عناصر تنظيم الجهاد، وكانت فكرة التنظيم في البداية تقوم علي حرب اليهود، وانتقل بعض أفراد هذا التنظيم إلي القتال لتنفيذ هذا الأمر ثم خفت دور هذه الجماعة مؤقتا بعد حرب اكتوبر، ربما أنهم رأوا أنها قد حققت هدفهم بمحاربة اليهود والانتصار عليهم، ولكن ظلت الجماعة قائمة وإن كان منحي الجهاد عندما قد تحول من جهاد اليهود إلي جهاد النظام الحاكم لجاهليته وعدم تطبيقه لأحكام الشريعة الإسلامية.

ونمت الجماعة من خلال ثلاثة أفرع، أهمها وأخطرها فرع الوجه البحري بقيادة محمد عبد السلام فرج الذي كان قائدا عاما لحركة الجهاد وكلها في نفس الوقت، وجماعة الوجه القبلي بقيادة كرم زهدي، وكان مفتي التنظيم هو الدكتور عمر عبد الرحمن الذي تولي قيادة الجماعة كلها فيمابعد، أما الفرع الثالث فكان بقيادة سالم الرحال الأردني الجنسية وقد تولي كمال السعيد حبيب قيادته بعد ترحيل سالم الأردني إلي بلاده.

ولم تكن تسمية هذه الجماعة بالجهاد أمرا عشوائيا، فقد لخصت فكرها في إعلاء مبدأ الجهاد كفريضة اسلامية، واطلقوا عليه "الفريضة الغائبة" وألف محمد عبد السلام فرج الزعيم والعقل المفكر لهذه الجماعة كتابا بهذا العنوان طرح فيه رؤية الجماعة ورغبتها في إنشاء الدولة الاسلامية والخلافة

بديلا لهذا النظام والفكر المطروح علي الساحة الذي لايعدو أن يكون فكرا جاهليا علمانيا مستوردا من فكر الطواغيت ولابد من الجهاد ضده ومقاومته ونشر الفكر الإسلامي.

وقد تنوعت مصادر فكرهم فكان خليطا من فكر ابن تيمية الأصولي وفكر أبي الأعلي المودودي وسيد قطب، فوصفوا الأحكام التي يحكم بها المسلمون في الوقت الحاضر بأنها أحكام الكفر فهي قوانين وضعها كفار وسيروا عليها المسلمين، فجعلوهم كفارا مثلهم باتباعهم لافكارهم، والكتاب يقوم علي فهم خاص بعملية الجهاد ويرون أن آية السيف نسخت كل آيات التسامح والتعامل مع أهل الكتاب والمشركين والكفار بالحسنى والمجادلة الحسنة، وتمثلت ثمرة هذا الفكر والعمل المستمر لهذه الجماعة في حادث المنصة سنة١٩٨١ الذي أودي بحياة الرئيس السادات، بصرف النظر عن الدواعي والأسباب التي حاول المجتهدون تفسير هذه العملية بها.

المهم أن هذه الجماعة نفذت عمليتها باتقان وإحكام يدلان علي مدي التنظيم الذي كانت تقوم عليه هذه الجماعة، من تحديد أدوار كل أفرادها بنظام فهناك الزعيم المفكر وهناك عبود الزمر قائد الجناح العسكري والذي ساعد علي ذلك خبرته كضابط مخابرات، وكان النموذج الأمثل لهذه الجماعة والذي شجعها علي المبادرة بتنفيذ مخططها نجاح الثورة الإيرانية التي أصبحت فيما بعد نموذجا يحتذي في كل البلاد الإسلامية من جميع الفئات الرامية الي التغيير، وذلك بالرغم من اختلاف المنطلق الديني، فالثورة الإيرانية شعبية المذهب أما هم فينتمون إلي المذهب السني.

جماعة الناجين من النار: بعد القبض علي تنظيم الجهاد والزج بهم في السجون نشأ من بعدهم جماعة تنتقم لهم أطلقت علي نفسها جماعة "الناجون من النار" والتي بدأت نصب انتقامها علي وزراء الداخلية، وتمت ملاحقة هذه الجماعة أيضا من قبل النظام القائم مع ملاحظة أن جماعة الجهاد لم تنته وظلت لها ذيولها وبقاياها وخلاياها المنتشرة في جميع أنحاء الجمهورية حتي الآن.

التيار الهامش: علي هامش التيارين العام والخاص نشأ تيار آخر يغلب علي مظهره طابع الإخوان المسلمين ولكن من الناحية الفعلية ليس متصادما مع السلطة بل نشأ بإرشادها وتعليماتها كبديل عن جماعة الإخوان المسلمين ولكن تحت اشراف الدولة وبعبارة أخري تبنته الدولة ليكون بديلا للجماعة المنحلة وهي الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية، والتي انتشرت فروعها في جميع أنحاء مصر، ويغلب علي طابعها البعد عن نقد الحكم والانغلاق علي الدعوة الإسلامية، وقد تفرع عن هذه الجماعة عدد كبير من الجماعات من أهمها أنصار السنة المحمدية التي قادها الدكتور جميل غازي والتي انتشرت بدورها في كثير من المدن وإن كان منهجها لايلقي رواجا وقبولا لدي العامة لهجومها الدائم علي القبور والأضرحة وخاصة أضرحة آل البيت الذين يمثلون شيئا مهما جدا لدي العامة يقترب أن يكون جزءا من عقيدتهم، ولايمل أعضاء هذه الجماعة من الحديث في هذه النقطة، مما جعل دورهم هامشيا غير مقبول لدي العامة الذين كانوا كثيرا ما يصفونهم بأنهم وهابية(٤)

(٤) نسبة إلي الحركة الوهابية التي أنشأها محمد بن عبد الوهاب في السعودية والتي قادت حركة تصحيح المفاهيم الخاطئة ،ونظرا لموقف السلطة المصرية بقيادة محمد علي منها فقد أشاع لدي الشارع المصري، أنهم علي غير الدين الحقيقي حتي يضمن ولاء الناس له في محاربتهم وظلت هذه الفكرة سائدة لدي العامة .

وتفرعت عن جماعة أنصار السنة أيضا جماعة دعوة الحق الاسلامية التي تحاول أن تبتعد عن هذا الطريق ليس لرفضها له وانما ايمانا منها بأن التركيز علي نقطة واحدة يفقد المنهج الاسلامي عموميته وشموليته.

وقد انشقت عليها الجماعة القرآنية التي تري في القرآن المصدر الأساسي بل كل شئ للدعوة، وهذه الرؤية القرآنية والتعصب لها لدرجة تصل إلي إنكار كثير من الأحاديث النبوية الشريفة، بدعوي أنها غير موثوق بها.

والغريب أن الطابع الذي يغلب علي هذه الجماعات أن كثيرا من المنضمين إليها كانوا أساسا ممن لم ينالوا حظا من التعليم يؤهلهم للفهم الواعي، ويميلون دائما إلي الفتوي والاجتهاد في فهم وتفسير النص القرآني، وأحيانا يلجأون إلي نقد النظام القائم أي إلي الدخول في لعبة السياسة بشكل عفوي أو اتباعا لتيار الجماعات الأخري.

بقيت ملاحظة أن نقول إن جماعة الاخوان المسلمين ظلت برغم الحظر الرسمي عليها الجماعة المعتدلة القائمة علي الأمر ،رؤيتها السياسية معتدلة ورؤيتها الدينية معتدلة تدعوا إلي الإصلاح ،ولكن عن طريق نشر الأفكار الاسلامية بإسلوب الدعوة الصحيح القائم علي الحكمة والموعظة الحسنة، مما جعلها أكثر هذه الجماعات قبولا لدي أفراد الشارع المصري.

وأخيرا فان هذه نظرة عامة سريعة علي مايعتمل في الشارع المصري من تيارات وأفكار متفقة مع بعضها أحيانا ومتعارضة مع بعضها أحياناً أخري، مما أحدث نوعاً من تضارب العواطف تجاهها مابين مؤيد ومعارض فلم تحقق أهدافها المرجوة كاملة، لكنها علي أية حال أحدثت نوعاً من

الصحوة الدينية في نفوس الناس عامتهم وخاصتهم وهو أثر إيجابي بلا شك، أما أثرها السلبي فيتجلي في المتصدين للفتوي من أفرادها دون تأهل حقيقي للافتاء يقوم علي معرفة دقيقة بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلي الله عليه وسلم وأصول الفقه وأحكامه، وكان من نتيجة ذلك تضارب الفتاوي مما أفقدها مصداقيتها عند أفراد الشعب إلي حد بعيد.

المصادر والمراجع

المصادر

أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ط دار الغد العربي القاهرة ١٩٨٦م
جواهر القرآن ط بيروت ١٩٨١م.

حسن البنا: حديث الثلاثاء جمع ونشر أحمد عيس عاشور مكتبه القرآن بولاق، القاهرة ١٩٨٥

مقاصد القرآن الكريم ط دار الشباب بالقاهرة د.ت.

حسنين مخلوف: صفوة البيان لمعاني القرآن ط الكويت ١٩٨٧م.

السيد رشيد رضا : تفسير المنار ط المنار ١٣٤٦هـ

سيد قطب: في ظلال القرآن ط دار الشروق ١٩٧٥م.

طنطاوي جوهري: الجواهر في تفسير القرآن الكريم ط الحلبي بالقاهرة ١٣٤٧هـ

عبدالحليم محمود :(دكتور) تفسير آل عمران (جزءان) ط الدار المصرية القاهرة ١٩٧٨م.

الفخر الرازي: مفاتيح الغيب ط دار الغد العربي ١٩٩١.

محمد بن أحمد الإسكندراني: كشف الأسرار النورانية ط الوهبية بمصر سنة ١٢٩٧هـ.

محمد البهي (دكتور): التفسير الموضوعي للقرآن ط٢ مكتبة وهبه بالقاهرة ١٩٧٨م.

مجمد جميل غازي: (دكتور) تفسير القرآن ط دار مدني بالقاهرة د .ت.

محمد سيد طنطاوي: (دكتور) التفسير الرسيط ط دار سعادة بالقاهرة ١٩٧٥-١٨٥م.

محمد عبده: تفسير جزء عم ط مطبعة مصر ١٣٤١هـ.

محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي ط دار أخبار اليوم بالقاهرة يتوالي صدوره منذ سنة ١٩٩٠ تسجيلا للأحاديث التلفزيونية والإذاعية.

محمد مصطفي المراغي: حديث رمضان كتاب الهلال العدد (٢٣٨) نوفمبر سنة١٩٧١م الدروس الدينية ط مطبعة الأزهر ١٣٦٤هـ.

محمود شلتوت: إلي القرآن الكريم كتاب الهلال العدد (٣٩١) يوليه ١٩٨٣م تفسير القرآن الكريم ط دار الشروق ١٩٧٤م.

منهج القرآن في بناء المجتمع كتاب الهلال العدد (٣٧٠) أكتوبر سنة ١٩٨١.

مصطفي محمود: (دكتور) القرآن محاولة لفهم لمصري ط٤ دار المعارف بمصر د.ت من أسرار القرآن الكريم ط دار الشروق القاهرة.

المراجع

أحمد عمر هاشم: (دكتور) السنة النبوية وعلومها ط أولي دار الكتاب الإسلامي بمصر ١٩٨٥.

أمين الخولي: التفسير معالم حياته منهجه اليوم دار المعلمين للطبع والنشر ١٩٤٤م.

السيد رشيد رضا: تاريخ الإمام ط المنار ١٩٣١م.

جرلد تسيهر: مذاهب التفسير الإسلامي ترجمة عبد الحليم النجار ط بيروت ١٩٨٥.

رفعت سيد أحمد : الحركات الإسلامية في مصر وإيران ط (١) دار سينا لنشر ١٩٨٩م الدين والدولة والثورة كتاب الهلال العدد (٤١٠) فبراير ١٩٨٥م.

عادل حمودة: سيد قطب من القرية إلي المشنقة، تحقيق وثائقي ط٣ دار سينا للنشر ١٩٩٠م.

عائشة عبد الرحمن: بنت الشاطئ (دكتورة) القرآن وعلوم العصر ط القاهرة.

عبد الرحمن الكواكبي: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ط الجمالية بمصر د.ت.

عبد العزيز المجدوب: الرازي من خلال تفسيره ط تونس/ ليبيب ١٩٨٠.

عبد الله شحاته (دكتور): منهج الإمام محمد عبدة في تفسير القرآن

الكريم ط. المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بمصر ١٩٦٣.

عثمان أمين: (دكتور) محمد عبده رائد الفكر المصري الحديث مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥م.

عفت الشرقاوي: (دكتور) الفكر الديني في مواجهة العصر ط٢ القاهرة ١٩٨٦.

عمر التلمساني: الملهم الموهوب حسن البنا أستاذ الجيل ط القاهرة ١٩٨٤

محمد إبراهيم الشريف: (دكتور) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم بمصر ط دار التراث بالقاهرة ١٩٨٢.

محمد حسين الذهبي: (دكتور) التفسير والمفسرون (جزءان) ط٣ مكتبة وهبه ١٩٨٥م.

محمد علي سلامة: (دكتور) التفسير العلمي للقرآن تاريخ وتطور مكتبة الآداب بالقاهرة ١٩٩١م.

محمد عمارة: (دكتور) تيارات اليقظة الإسلامية الحديثة، كتاب الهلال، العدد (٣٨٠) أغسطس ١٩٨٢.

مصطفى الحديدي الطير: (دكتور) اتجاهات التفسير في العصر الحديث، ط مجمع البحوث الإسلامية بمصر ١٩٧٥م.

مصطفى صادق الرافعي: اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ط٩ بيروت ١٩٧٣.

الفهرس

الموضوع | الصفحة

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٤/٤٣٩٥

T.S.B.N.977-241-119-9